

رسالة الوتري
في محاكمة السلفية الوهابية بالمغرب

الاستاذ : احمد العماري

– تعريف بالرسالة ومضمونها

تحمل هذه الرسالة كما جاء في نهايتها الاسم التالي : «ما ابرزته الاقدار في نصرة ذوي المناقب والأسرار» لعلي بن طاهر الوتري الحجازي من المدينة المنورة. واسم الرسالة يوحي بأنها من الطوارئ التي حدثت لمؤلفها عندما اصطدم بوجود الوهابية السلفية بالمغرب والدوافع التي جعلته يواجهها «فالصدمة بالسلفية الوهابية في المغرب» وخلفياته تجاهها ارغمته على الكلام بكل مايملك من حجة، اي بما ابرزته الاقدار ليدافع او ينتصر لمواقفه.

والرسالة وثيقة نادرة وجد مهمة فهي من المخطوطات التي لم ينتبه اليها بعد، والتي ما تزال في حاجة الى دراسة مركزة وموثقة لأنها لاتتصل فقط بتحقيق احداث تاريخية بل تتصل بمنهج هام جدا وهو منهج السلفية الذي يدخل في صميم التجربة التاريخية للمغرب من جهة، وفي تحديد الاسباب المنهجية للخطأ والصواب في المسيرة التاريخية للأمة الاسلامية، وهو الذي مايزال الكلام حوله الى الآن وسيظل الى ان تتضح الامور. على أن تحديد هذه الاسباب المنهجية خلال التعريف بهذه الرسالة يصعب جدًا لاعتبارات موضوعية وعلمية وتاريخية. لان موضوع هذه الرسالة واطارها التاريخي لايسمح بالابتعاد عنها كثيرا. وعلميا يتطلب تحديد الاسباب المنهجية فقه المنهج الاصولي فقها حقيقيا لانه ميزان الاحكام التي تحدد شروط الممارسة في الحياة كلها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا لدى الامة في حياتها، وتطبيق هذا على هذه

الرسالة وظروفها التاريخية الممتدة من قبل ومن بعد من الصعوبة بمكان. ولكن اعد – ان شاء الله – بان اتوسع في مناقشة هذا الموضع بما استطيعه في المستقبل بحول الله خصوصا بعدما تراكم واخذ يتراكم حول السلفية من كلام لايمت الى الموضوعية بصلة ولايعتبر من فهم السلفية في شيء ولا من فقه تاريخ الامة ابدا.

وقبل ان ابدأ في القاء الأضواء على صاحب الرسالة وموضوعها اشير الى ان الرسالة تمثل في اصلها نصا واحدا لاينقسم الى فصول او ابواب او فقرات، ولذلك رأيت من المفيد تقسيمها الى فقرات بالرجوع الى اول السطر عند الشعور بذلك، او عند تغيير المعنى، كما وضعت عناوين للفقرات الرئيسية او ما يمكن ان نسمه بفصول هي التي وضعناها بين معقفين، كما تدخلت كذلك لوضع النقط والفواصل بين الجمل، وعرفت كذلك بعدد هام من الاعلام والافكار حتى الاعلام المشهورة تيسيرا للقارئ وتذكيره بالعصور التي عاش فيها اولئك الاعلام وحققت النصوص المقتبسة عند المؤلف فرجعت الى مصادرها الاصلية عند اكنسوس او الزياني او في كتاب الشفا او غير ذلك، ولا احتاج الى التذكير مرة أخرى بهذه القطعة المخطوطة النادرة التي تمثل مرافعة او محاكمة للسلفية بالمغرب من طرف الوترى، والموجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1115 د، ضمن مجموع، غير أني لم اعثر على نسخة ثانية لها الى الآن. فمن هو الوترى مؤلف هذه الرسالة ومتى ورد على المغرب ؟؟

– صاحب الرسالة :

هو ابو الحسن علي بن طاهر الوترى المدني (من المدينة المنورة) الحنفي (1)، ولد بالمدينة المنورة سنة 1261 هـ وبها نشأ وتعلم ثم رحل الى مكة للعلم ايضا فأجازه علماؤها ورشحوه للتدريس وهو مايزال في سن السابعة عشرة من عمره مما يدل على نبوغه وذكائه. وكان كثير الاسفار والرحلات حيث زار الهند وافغانستان وفارس وبخارى وسمرقند ومصر والعراق والشام وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب فزار العالم الاسلامي كله تقريبا وبالتالي زار المآثر التاريخية المقدسة بهذا العالم كقبر البخارى وأضرحة العلماء المشهورين او الصالحين او الاماكن المقدسة، واجتمع بعلماء الاقاليم

(1) عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس... ج 1 / 106–110
الزركلي : الاعلام : ج 110/5.

الاسلامية التي زارها واستجازهم فاجازوه كما اجاز هو بعضهم، فهو من العلماء الذين اجازه العشرات وعشرات العلماء، وقد صنفهم الكتاني في كتابه (فهرس الفهارس) خلال ترجمته للوترى حسب اقاليمهم فعدد عشرات وعشرات منهم مما يدل على اهمية الاجازة في درجة العالمية آنذاك ودورها في تحقيق السند وتوثيقه، ولما لهذا التحقيق من اهمية واعطاء الثقة للعلوم والمؤلفات التي تصدر عن صاحبها، ولكن اذا كان هذا هو هدف الاستكثار من الاجازات، فيبدو ان الامور قد تغيرت من بعد وخصوصا في عصر الوترى الذي اصبحت الاجازات تمنح فيه كهدايا ومجاملات وترحيب بالشخص لا اقل ولا اكثر. وفعلا يتضح لنا الوترى من خلال رسالته هاته انه ليس في مستوى الاجازات الكثيرة التي منحت له. توفي الوتري بتاريخ 29 جمادى الاولى 1322 هـ / 1904 م. ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة، ويذكر الكتاني في (فهرس الفهارس) أنه زار قبره ووجد مكتوبا عليه ابياتا شعرية وتاريخ وفاته، وقد نقل الابيات والتاريخ في كتابه المذكور، ويبدو من خلال تلك الابيات ان الوترى كان يحظى بمكانة علمية واجتماعية مرموقة سواء في المدينة المنورة او بالمغرب او بغيرهما، وقد ترك عده كتب كلها تقريبا في الحديث النبوي الشريف وفي مصطلح الحديث اهمها :

1) مسلسلات وأوائل في كراسين جمع فيهما اوائل من اربعين كتابا في الحديث.
2) اجازة مطبوعة في نحو كراسة هي التي كان يجيز بها.
3) التحفة المدنية في المسلسلات الوترية (وهي مسلسلات الخمسين من المنتخبات في الحديث ايضا) طبعت ببلاد فزان. وقد قدم الكتاني في (فهرس الفهارس) تقييما ونقدا لكتب الوترى المتعلقة بالحديث.
4) ما ابرزته الاقدار في نصرة ذوي المناقب والاسرار، وهي الرسالة التي كتبها في المغرب تعرض فيها الى نقد سلفية ابن عبد الوهاب ونقد اكنسوس وحمدون بن الحاج والسلطان المولى سليمان. (ولم يرد ذكر هذه الرسالة في فهرس الفهارس الذي هو المصدر الوحيد لترجمة الوترى).

لاتحتوي الرسالة على التاريخ الذي حررت فيه، كما ان النسخة التي بين ايدينا ليست هي النسخة الاصلية على ما يبدو، لأن خطها مغربي في حين ان الوترى مشرقي كما عرفنا. ويبدو انها نسخة بقلم مغربي عن النسخة الاصلية او غيرها، ولكن لايوجد بها اسم ناسخ ولا تاريخ النسخ، ومما يؤكد أنها منسوخة عن الاصل بعض الكلمات التي وردت في الابيات الشعرية، والتي هي كلمات لامعنى لها، لان الناسخ

لم يستطع ان يفهم الكلمة في اصلها بالخط الشرقي فاجتهد في تقليد حروفها كما هي ليملأ الفراغ عسى ان يكشف من بعد معناها ويتم تصويبها.

- تاريخ الرسالة :

اما تاريخ تأليف الرسالة فرغم اننا لانستطيع تحديده بالضبط الا أننا نستطيع ان نحصره في حدود زمنية قريبة الى حد ما من تاريخ التاليف.

لقد ذكر الكتاني في (فهرس الفهارس) ان الوترى لما ورد على المغرب زار مدينة فاس خلال سنة 1287 هـ وزار مراكش في نفس السنة ايضا، وذكر ايضا انه كان بفاس خلال سنة 1297 هـ. فهل يكون الوترى قد ظل بالمغرب مدة عشرة سنوات او اكثر ؟ لايمكن الجزم بذلك. غير ان الكتاني يذكر ان الوترى اخذ بالمغرب احزاب وأوراد جميع الطرق بالمغرب بما فيها الطريقة الكتانية والوزانية والدرقاوية والنبقشندية والبقالية وغيرها من الطرق التي اتى الكتاني على ذكرها وحصل الوتري على اجازة من هذه الطرق. وهذا يؤكد انه مكث بالمغرب مدة لابأس بها، ولكن هذا لايساعدنا الا على حل واحد هو ان الرسالة الفت مابين 1287 و 1297 هـ.

ويمكن ان نقترب اكثر ونقلص من هذا التاريخ كثيرا اذا استعنا ببعض الجمل التي وردت في الرسالة والتاريخ الذي ورد عند الكتاني.

فقد ذكر الوتري في الصفحة الاولى من رسالته انه علم وهو بفاس بتأليف اكنسوس لكتابه (الجيش العرموم) والضجة التي ثارت ضده نتيجة الهفوات التي ارتكبها وهي الهفوات التي اعتبرها البعض كبيرة جدا مثل تأييده لمحمد بن عبد الوهاب وحركته السلفية وتعريضه بالشيخ عبد القادر الجيلاني حسب زعمهم وتهجمه على الزياني وغير هذا...الخ، واضاف الوتري بانه عندما توجه الى مراكش وجد نفس الخبر فطلب كتاب اكنسوس المذكور حتى يتأكد من الاشاعات الرائجة حوله، فلما تم اطلاعه عليه وجد الامر كما سمع - حسب زعمه - فاعتبر السكوت على ذلك ذنبا لايغتفر، وطلب الاذن من شيوخه الاموات في الرد على اكنسوس فاذنوا له في المنام حسب زعمه، من خلال ما رآه في منامه وهي الحكاية التي قصها في الصفحة الاولى من رسالته. والمهم ان رسالته هاته الفها بعد وصوله الى مدينة مراكش مباشرة خلال سنة 1287 هـ او خلال السنة التي تلتها على الاكثر حسب مايفهم من عبارته

المذكورة في الصفحة الأولى من الرسالة. واشار ايضا بانه في الوقت الذي كان يحرر فيه رسالته هاته بالمغرب كان (فيصل السعودي) هو زعيم الحركة الوهابية بالحجاز. وقد توفى فيصل هذا في نهاية العقد السابع من القرن التاسع عشر، وهي السنة بالضبط التي كان الوتري يوجد خلالها بمراكش (اي 1287 هـ). والتساؤلات التي تتبادر الى ذهن القارىء لأول مرة هي : لماذا الف الوتري رسالته هاته ؟ لماذا لم يرد المغاربة على اكنسوس حول ما اعتبروه هفوات في كتابه (الجيش..) ؟ الا يكون الوتري اراد من مرافعته هاته ومحاكمته متابعة السلفية الوهابية في المغرب كما تابعها في المشرق حسب الاشارات التي وردت عنده بالرسالة ؟ لماذا كان يتحيز للسلطان التركي وللوالي على مصر ضد محمد بن عبد الوهاب ؟ فهل هو تزمت شديد للطرقية على حساب السلفية ام توجد خلفيات اخرى وراء هذا التحامل ؟ نحاول ان نجيب على هذه الاسئلة من خلال عرض الاسباب التي جعلت الوتري يكتب رسالته.

- السلفية في دوافع التاليف

1) يشير الوتري خلال تعريفه بمحمد بن عبد الوهاب الى اصله البدوي وعصبيته القبلية القوية بشكل نستطيع ان نحس معه بالنزعة القبلية والنزعة العصبية التي كانت ما تزال آنذاك حية بالحجاز وهي واحدة من الخلفيات التي دفعت الوتري للكتابة والتنديد بالوهابية.

2) واذا تاكد لنا ذلك نستطيع ان نضيف له شعور الحاضرة ضد البادية والعكس وهو من النزعات المتخلفة التي تولدت عن العصبية القبلية ومركبات اخرى تتلخص في الواقع التاريخي الذي اكتسبته المدن واخذت تعتبر ان السلطة والقيادة يجب ان تكون منها وحدها باعتبارها تحتكر العلم والابتكار الحضاري كشكل من اشكال الحياة الراقي والمتطور بالنسبة للبادية، ويضاف الى ذلك بالنسبة للوتري مكانة المدينة المنورة وخصوصياتها التي كانت تفرض ان تكون القيادة ويكون الاصلاح منطلقا منها لا واردا عليها، ويؤكد هذا ما ورد في رسالته من تعجب حول مفهوم الزيارة وصحتها معتبرا ان علماء المدينة المنورة لم يكونوا يجهلون حقيقة الزيارة خلافا لابن عبد الوهاب الذي زعم ان اي احد من اهل المدينة لم يكن يحسن فهم حقيقة الزيارة.

3) لقد كان الوتري طرقيا الى درجة التعصب، وقد عرفنا كيف اقبل وهو بالمغرب على تحصيل جميع احزاب واوراد شيوخ الطرق بالمغرب حتى اجازوه في ذلك، ولا يخفى العداء بين السلفية والطرقية عبر التاريخ باعتبار ان السلفية تعتبر الطرقية ضالة مضللة تصل احيانا الى درجة الشرك الذي هو اصل الكفر، بينما تعتبر الطرقية نفسها قائمة على اساس سني، وان طريقها الى معرفة الله هو طريق اسهل يستوعب العلماء والاميين على حد سواء، بينما لايمكن ان يتحقق ذلك في السلفية حسب زعمهم، وهذا الخلاف الذي يصل الى درجة التراشق بالكفر والإبتداع وهو النعت او المصطلح الذي كثر استعماله عند الوتري في رسالته ضد الوهابي وهو الذي يؤكد لنا طبيعة العداء والتهجم في هذه الرسالة على الوهابية وضد اكنسوس وغيره.

4) ان فكرة العداء ضد الاضرحة وزيارة القبور عند السلفيين ودعوتهم الى تحطيمها «سدًا للذريعة» اي حتى لايقع المسلمون في الشرك يعتبر استفزازا للطرقية والطرقيين حتى على المستوى الاقتصادي نفسه باعتبار ان هذه الاضرحة هي التي تجسم الهيبة والوقار في نفس الشخص وتجعله يفيض حماسا وهو يقدم الهدايا والصدقات والقرابين المادية اليها. وبما ان القرآن الكريم يحرم ذلك ويجعله كفرا ورجسا وفسقا فان السلفيين يرون في الطرقية امتدادا لعبادة الاصنام، والآلهة في العصور الجاهلية، ويعتبرون الطريقة تحريفا عميقا وخطيرا للاسلام الصافي الخالص.

والخلاف بين السلفية والطرقية حول هذه المسائل المتعلقة بالاعتقادات والعبادات في المظاهر والسلوك خلاف ينتهي في عمقه الى خلاف منهجي هام جدا، فمنهجيا تصبح الطرقية قرابين وعبادة اصنام وعزوف عن الحياة وتعدد السبل وانقسام المسلمين واختلافهم اختلافا وانقساما لاخد له ولا حصر.

عكس هذا هو ما يقوم عليه المنهج السلفي، لاوسطية بين العبد وربه. لا رهبانية. توحيد خالص لله، وحدة في كل المعتقدات والعبادات العملية واللفظية والشكلية(2).

(2) هذه الافكار المنهجية للسلفية تحددها المضامين الواردة في المبادئ التي بشر بها محمد بن عبد الوهاب والتي هي تمثيل حرفي لمبائ ابن تيمية والمحددة بشكل منهجي موثق عند الائمة الأربعة السلفيين. غير ان تطبيقها منهجا عملا لخلق الانسان السلفي الواعي لمفهوم الاستخلاف وقاعدتي الايمان والعمل اللتين يقوم عليهما في الحياة لمواجهة الواقع اقتصاديا وتكنلوجيا حتى يقوم بامانة الاستخلاف (ايديولوجيا) هو الذي يوجد بكتب اهم الحركات الاسلامية الجديدة النامية وما عبر عنه زعماؤها في هذه الكتب مثل : قطب، وفتحي يكن، وسعيد حوى، والمودودي...الخ.

ويبدو ان اهم قاعدة في الخلاف بين السلفية والطرقية (منهجيا دائما) تتحدد حول فكرة الاستخلاف ومفهومه، فهو عند الطرقية (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)(3) والعبادة عندهم تنحصر في العبادات بالمصطلح الفقهي للكلمة فقط، بينما يرى السلفيون ان طلب العلم اهم من الاعتكاف على النوافل في الصلاة والصيام... لانه يكفي مع طلب العلم القيام بالفرائض مثلا او ما امكن بعدها. والاهتمام بالشؤون الاقتصادية او السياسية.او...الخ من اجل نقل الامة الى مستوى اقوى مما هي عليه في اطار قاعدة الاستعداد (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة..)(4) بهدف الوصول بالامة الى القيام بدورها في تحقيق مبدأ العالمية الاسلامية وجعل البشرية تدرك دورها الحقيقي على اساس الاستخلاف في الارض، والوعي بهذا الاستخلاف يعتبر عند السلفيين المنهج الصواب ويعتبرون بالمقابل ان الطرقية ضلال خطير وتحريف عميق لاهداف الاسلام الذي جاء للانسانية كافة ولم يأت ليصبح طرقا واحزابا وطوائف ويتهمون الطرقية بانها من أهم اسباب تخلف المسلمين، فتحطيم الاضرحة والمزارات من طرف الوهابية كسلفية، كان يهدف بالاساس الى توجيه المسلمين في الخط المستقيم الذي ينتهي بهم منهجيا الى ادراك دورهم في الوجود والتاريخ البشري، وهكذا يتحدد عمق الخلاف بين الطرقية والسلفية حول مفهوم (الاستخلاف) الذي ينظر له السلفيون من جانب الابداع العقلي في ارتباطه بالله، وينظر له الطرقيون او يحصرونه في (العبادة) بالمفهوم الفقهي فقط الى جانب مبدأ الوحدة عند السلفيين ومبدأ التعدد عند الطرقيين.

على اساس هذه الاسباب التي استنتجناها من مضمون رسالة الوتري حاولنا ان ننتقل الى عمق المشكل لنجيب على الاسئلة المتعلقة بالاسباب التي دفعت الوتري الى تأليف مرافعته (رسالته) ضد الوهابي والمغاربة الذين ايدوه وذلك حتى يحمي الطرقية واستمرارها ويبعد عنها التشويش والتهديد الذي قد ينشأ اذا تقوت السلفية وظهرت كتيار وسلطة بالمغرب كما ظهرت بشبه الجزيرة العربية.

5) هذا ولايخفي ان السلفية كانت في هذه الظروف كتيار للتجديد وايديلوجية للتطور قد ظهرت في المشرق العربي على يد الافغاني والكواكبي ومن سيأتي بعدهما من تلاميذ مصلحين. ويبدو أن تأليف الوتري لرسالته بالمغرب كان يرمي الى

(3) الذاريات : 56

(4) الانفال : 60

لخلق حاجز وقائي ضد اي تسرب للسلفية قد يؤدي الى تعزيز الفكر الوهابي بالمغرب الذي يظهر أنه كان قد اخذ يتركز، واخذت السلفية بالمغرب تتحرك في شكل أفكار داعية للاصلاح والتجديد ويكفي دليلا على ذلك رسالة الفلاق للسلطان محمد بن عبد الرحمان (محمد 4) حول تحديث الجيش واصلاح البلاد والمسماة (تاج الملك المبتكر....)(5) وكتاب اللجائي (مقمع الكفرة..)(6). ورسالة السملالي السوسي على (عناية الاستعانة..)(7) وقبلهم جميعا رسالة الكردودي حول تحديث الجيش ايضا (كشف الغمة في ان حرب النظام حق على هذه الأمة)(8). ورسائل اخرى ستؤلف خلال عصر السلطان الحسن الأول وولده عبد العزيز. والمهم ان هذه الكتب والرسائل تعبر تعبيرا دقيقا عن المنهج السلفي وتتركز افكارها حول (مفهوم الاستعداد) (ومفهوم الاستخلاف) كما سبقت الاشارة وهما اساس المنهج السلفي. وتحاول هذه الكتب في خطابها ان تجمع بين المصطلح الفقهي والمصطلح الفلسفي على اساس الربط بين القصد الشرعي والحكمة العقلية في اطار خطاب الانسان بالشريعة والعقل معا للوصول الى الاقناع. والمهم ان صدى صوت السلفية الذي اخذ يظهر من جديد والوعي باهمية هذا الصوت وخطره على الطرقية على مستوى العالم الاسلامي، والعطاء الذي اخذ يعطيه في المغرب كما برز ذلك في الكتب المذكورة كان واحدا من الاسباب التي حركت الوتري لكتابة رسالته لتكون قوة جديدة لهجوم الطرقيين على السلفية بالمغرب والمشرق واحداث حاجز وقائي ضد تسرب الاصداء السلفية الجديدة للمغرب.

6) كما يبدو ان الوتري حاول ان يدعم هجوما آخر ضد اكنسوس وهو الهجوم الذي قام به العربي المشرفي الذي الف كتابا ضد اكنسوس سماه (الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن اكنسوس)(9) وهو الكتاب الذي الفه صاحبه على اثر ظهور (الجيش العرمرم لاكنسوس) ايضا ونفس المآخذ التي اخذها الوتري على اكنسوس هي التي اخذها المشرفي عليه ايضا باستثناء

(5) هو تاج الملك المبتكر مخطوط خم بالرباط 2502
(6) مقمع الكفرة مخطوط خم 1030
(7) عناية الاستعانة خع رقم : 480 د
(8) طبعة حجرية بفاس سنة 1303 هـ
(9) مخطوط خع، 2276 ك

تأييد الوهابية فان المشرفي لم يشر اليه نهائيا وحصر مأخذه فيما يتعلق بالمغرب فقط. ويبدو ان المشرفي اتصل بالوتري وهو الذي اطلعه على هفوات اكنسوس، ويمكن ان نجزم بذلك اذا قرأنا (الحسام المشرفي..) وكذلك اذا عرفنا ان الوتري لم يكن له الوقت الكافي لقراءة كتاب اكنسوس (الجيش..) كله، وان المشرفي هو الذي اطلعه على الاماكن التي وردت فيها هذه الهفوات بكتاب (الجيش...) فيسر عليه قراءتها بسرعة دون ضياع وقت كبير في قراءة الكتاب كله، بدليل ان الاقتباسات التي اقتبسها المشرفي هي نفسها التي اقتبسها الوتري باستثناء ما يتعلق بالوهابي الذي انفرد به الوتري باعتبار انه هو الذي يعرف الوهابي اكثر من غيره. كما ان رسالة الوتري وكتاب المشرفي الفا في وقت واحد، وان المآخذ بهما ضد اكنسوس متشابهة تماما.

7) يعتبر تعريف المغاربة بزعيم الوهابية ونشأته والظروف التي رافقته والنجاح والفشل الذي أصابه واحدا من الاسباب التي دفعت الوتري الى تأليف رسالته كما يبدو ذلك واضحا من الرسالة نفسها خلال تعريفه بابن عبد الوهاب وتصحيح وضبط اسمه في النطق المغربي ونسبه ومسقط رأسه والخطة التي مارسها لفتح المدينة المنورة والاجراءات التي قام بها لتطبيق مباديء دعوته والمعتقدات التي حاربها او التي دافع عنها أو حاول ترسيخها او تصحيحها. غير ان هذا التعريف قدمه في شكل نقدي تهجمي مع تشويهه وتاويله للمعتقدات والمبادئ التي كان يقول بها ابن عبد الوهاب ليتخذ من ذلك ذريعة لوصفه بالمبتدع واعتباره واحدا من الفرق المتطرفة المنحرفة مثل الخوارج والرافضة والباطنية وغيرهم ليجد في ذلك المبرر الشرعي للحكم عليه بالفسق والضلال والكفر، ولم يقبل حكم اكنسوس الذي اعتبر الوهابي حنبليا متطرفا كابن تيمية، بالاضافة الى ان التعريف الذي حاول (الوتري) ان يقدمه للحركة الوهابية منذ نشأتها الى تاريخ كتابته للرسالة وهو 1287 هـ / 1870 م اذا استثنينا فيه نسبه ومسقط رأسه يعتبر تعريفا ناقصا تماما ومشوها نتيجة الاقتضاب الذي اعتمده في التعريف به والتهجم الذي جعله يهتم بمحاكمته اكثر من اهتمامه بدوره وحركته على مستوى الاحداث التاريخية في شبه الجزيرة العربية وخارجها، كما جعله يهتم بمعتقده لما ينبني على ذلك من الاحكام التي اصدرها ضده. ويظهر اننا وصلنا في هذه النقطة الى موضوع الرسالة والاشكاليات المرتبطة به.

موضوع الرسالة

يدور موضوع الرسالة حول مجموعة من الاشكاليات التاريخية والعقيدية والمذهبية تنطلق اساسا من العقيدة الوهابية وموقف السلطان المولى سليمان منها والخلاف بين الزياني واكنسوس حول هذا الموقف، وتدخل الوتري في هذا الخلاف عن طريق هذه الرسالة التي الفها حول ذلك.

وصلت السلفية الوهابية للمغرب حوالي سنة 1225 هـ / 1810 اي بعد حوالي سبعين سنة من قيامها بشبه الجزيرة العربية (1740م)، ونقصد بالوصول هنا الوصول الرسمي(10) عن طريق الرسائل التي كتبها سعود الوهابي الى كل اقطار العالم الاسلامي ومنها رسالته الى تونس ومن تونس بعث مفتيها (عمر المحجوب التونسي) نسخة منها الى علماء القرويين لينظروا فيها ويجيبوا عنها. وقد اجاب على الرسالة بالمغرب العلامة الاديب السيد حمدون بن الحاج الفاسي(11) وأرفق الجواب بقصيدة يمدح بها ابن سعود الوهابي.

حول هذا الجواب والمدح اختلفت المصادر المغربية : فالزياني (12) يذكر ان

(10) اما الوصول الغير الرسمي فيرجع إلى عصر السلطان محمد بن عبد الله (1757 — 1790) الذي تشير عدد من المصادر والمراجع إلى انه كان قد تأثر كثيرا بالسلفية الوهابية واعجب بها عندما وصلته عن طريق الحجاج المغاربة، مما جعله يشن حملة ضد المختصرات وبعض كتب الاشعرية ويدمر بعض الزوايا كزاوية ابي الجعد مثلا ويصرح قائلا : «انني مالكي المذهب حنبلي العقيدة» وعند (جوليان) فانه كان يقول (مالكي المذهب وهابي المبدء) وهو تحريف وترجمة سيئة على ما يظهر للحنبلية التي حرفها (جوليان) إلى الوهابية، باعتبار ابن عبد الوهاب حنبلي ايضا

يراجع : على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب ص : 43 وكذلك ش أ جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ص : 243 بالفرنسية.

(11) هو ابو الفيض حمدون بن عبد الرحمان بن حمدون بن عبد الرحمان السلمي المرداسي الشهير بحمدون بن الحاج. ولد بفاس عام 1174 هـ / 1760 م وبها نشأ ودرس حتى أصبح من العلماء المبرزين في مختلف العلوم الشرعية والأدبية كالفقه والتفسير والتصوف والشعر والأدب والمنطق وعلم الكلام وله في كل هذه العلوم كتبا متعددة. وكان من العلماء المقربين للسطان المولى سليمان (1792 — 1822) ونال شهرة كبيرة في عصره وتقديرا كبيرا من طرف معاصيره من العلماء، توفي بفاس بتاريخ 7 ربيع الثاني 1232 هـ / 1817 م وخلف كتبا عديدة في مختلف العلوم المذكورة، يراجع عنه : النبوغ ج 1 / 296 .. الشرب المحتضر : 8 الحياة الادبية : 352 وغيرها.

(12) هو أبو القاسم بن احمد بن الحسن علي ابن ابراهيم الزياني، ولد بفاس عام 1147 هـ / 1734 م وبها درس على اكبر علماء عصره حتى تبرز في مختلف العلوم التي كانت تعطى آنذاك، وخصوصا علوم الشريعة الاسلامية واللغة التي انعكس اثرها بشكل كبير جدا في كتبه. استوزره السلطان محمد بن عبد الله والسلطان سليمان كما استكتب في القصر الملكي قبل ان يصبح وزيرا، وشغل وظائف اخرى كوال للدولة وامين في تافيلالت ومنطقة الغرب والمغرب الشرقي وغيرها : ومثل المغرب سفيرا لدى الباب العالي على =

حمدون بن الحاج اجاب الوهابي ومدحه دون علم السلطان المولى سليمان. وهاجم الزياني حمدون بن الحاج وسفه الحركة الوهابية واعتبرها بدعة وهرطقة. اما اكنسوس(13) فيذكر ان حمدون بن الحاج اجاب الوهابي ومدحه بامر من السلطان ويستدل على ذلك بعدة حجج منها : ان السلطان اختار حمدون بن الحاج لعلمه بقدرته الأدبية وانه لايحسن احد الجواب مثله. ثم ان الجواب حمله ولد السلطان

= عهد السلطان محمد بن عبد الله وعهد السلطان سليمان، وحج وزار الحجاز ومصر وليبيا وتونس والجزائر، ولذلك لم تكن مهمته الوزارية مستمرة، بل كان ينتقل من مهمة لاخرى، كما كان يعفى من مهامه نهائيا في بعض الاحيان مثلما وقع له سنة 1224 مثلا عندما اقالة السلطان سليمان مما جعله يعتقد وهو بعيد عن القصر آنذاك ان السلطان لم يأمر حمدون بن الحاج بالجواب، ومدح المصلح الوهابي بالمشرق وعمله، وقد صحح اكنسوس بالحجج هذا الظن الذي كان يعتقده الزياني وتحامل عليه في كتابه (الجيش العرمرم) تحاملا شديدا وقد حاول الوتري في هذه الرسالة المرفقة هنا ان يدافع عن الزياني ولكنه فشل في ذلك كما عرفنا.

خلف الزياني عدة كتب في التاريخ والسياسة تزيد على عشرين كتابا غير ان عددا منها ادمج في بعضها البعض واختلفت الاسماء وتشابهت المعلومات. ورغم ذلك يظل الزياني اكبر مؤرخي المغرب في التاريخ الحديث.

يراجع عن حياته : مؤرخو الشرفاء ص : 102 — 135 السلوة ج 1 / 263 ذكريات مشاهر رجال المغرب العدد الثاني. الحياة الادبية : 398. وغيرها من الكتب الكثيرة التي عرضها مؤرخو الشرفاء.

(13) هو أبو عبد الله محمد بن احمد اكنسوس ولد سنة 1211 هـ تعلم في البداية بمسقط رأسه اذاوكنسوس بسوس ثم هاجر لفاس سنة 1229 هـ لاتمام دراسته فاخذ عن مشاهير علماء عصره حتى تبرز في علوم اللغة والادب والفقه والتاريخ وغير ذلك. استكتبه السلطان سليمان ثم استوزره، غير انه انعزل عن الادارة والسياسة بعد وفاة هذا السلطان نتيجة المكائد التي كيدت له من طرف حساده لدى السلطان عبد الرحمان بن هاشم، غير انه كان يتردد على مجلس السلطان من حين لآخر وفي عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان اصبح من الاعضاء البارزين في مجلس السلطان الذي كلفه بتأليف كتاب في تاريخ الدولة العلوية، فوضع كتابه (الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي) وهو في جزئين طبع بالمطبعة الحجرية بفاس وقد صحح فيه عددا من الاخطاء التي وردت عند الزياني، ولما تعرض لتفسير بعض الامور مثل الاتجاه السلفي الوهابي تهجم عليه بعض معاصريه وانتحلوا عليه اشياء أو ربما فهموها فهما سيئا، وممن تحاملوا عليه : العربي المشرفي الذي خصص كتابا للرد عليه كله تحامل وهو : (الحسام المشرفي ..) كما سبق ذكره وهجم عليه كذلك : علي الوتري كما يظهر من هذه الرسالة المرفقة. وحاول (ليفي بروفنصال في كتابه : مؤرخو الشرفاء) ان يقلل من قيمته عندما وجده سلفي النزعة عكس الزياني عندما وجده يحبذ القوانين الوضعية بدل الشريعة وهي النقطة التي تهجم فيها اكنسوس على الزياني، كما هو واضح في نص اكنسوس الذي نقله الوتري في رسالته. وهذا من دس اليهود والنصارى مثل (ليفي ..) والا فالقيمة التاريخية لكتاب اكنسوس ربما متفوقة عن كتاب الزياني (البستان ..) توفي اكنسوس بمراكش يوم الثلاثاء 29 محرم 1294 هـ، وقبره مزارة إلى الآن قرب ضريح ابي القاسم السهيلي خارج باب الرب، وخلف كتبا اخرى غير الجيش.

يراجع عنه : المراكشي : الاعلام، ج 7 / 8 وما بعدها، السلوة، ج 2 / 10. الحياة الادبية : 431. مؤرخو الشرفاء: 136 وما بعدها وغيرها.

وخليفته الامير المولى ابراهيم وجماعة من العلماء (منهم قاضي مراكش ابن ابراهيم الزداغي) الذين رافقوا الامير للحج. ويدافع اكنسوس عن الوهابية ويعتبرها الصورة الحقيقة للسلفية الحنبلية وانبعاثًا جديدًا للتصوف السلفي الذي كان يقوده ابن تيمية. ويهاجم الزياني ويعتبره «جهولا» للامور، وهو يشير بذلك الى جهله، بخلفيات موقف السلطان وحقيقة المذهب الوهابي.

يطرح الوترى في رسالته هذه الخلاف بين اكنسوس والزياني فينقل عن الاول الصفحات التي رد فيها على الزياني ليصوغ من ذلك في رده على اكنسوس ثلاثة محاور اساسية هي :

1) محاولة تقديم تعريف لظهور الوهابية ونشوئها انطلاقا من التعريف بصاحبها ونسبه ومسقط رأسه، وهو التعريف الذي ركز فيه كما عرفنا سابقا على الجانب المذهبي (الايديلوجي) للوهابية، لينتهي الى صياغة الاحكام الشرعية التي ينطبق حكمها على المبتدعة مثله، وقد حاكمه محاكمة عنيفة وقاسية كما هو واضح من نص الرسالة.

2) حاول الوتري ان ينتصر للزياني ويعتبر حمدون بن الحاج قد تصرف في جوابه وتأييده للوهابية تصرفا شخصيا وان السلطان لم يعلم بذلك : ثم حاول ان يخلصه من التهمة ويدافع عنه فذكر انه لم يكن له علم بحقيقة المبتدع الوهابي، ولكنه لما علم بحقيقة امره تراجع عن تاييده له موكدا ان السلطان هو بدوره لم يأمر حمدون بالجواب ولم يتدخل فيه. ويتضمن حديثه عن هذه النقطة ادانة لحمدون والسلطان معا خصوصا عند حديثه على مايجب على السلطان فعله في مثل هذه المسألة.

3) يهاجم الوتري اكنسوس هجوما عنيفا ويظهر بوضوح انه يزور عليه عددا من الامور المهمة ويحرفها ضده ليجعله جاهلا كافرا الى غير ذلك من الاحكام التي لاتليق تماما بشخصية اكنسوس. وقد تجاوز الوتري مسألة الخلاف بين الزياني واكنسوس ليهاجم اكنسوس في مسائل كثيرة جاءت في كتابه (الجيش العرمرم) وهي المسائل التي تعرض فيها اكنسوس للتحكيم امام مجموعة من العلماء في مجلس السلطان محمد بن عبد الرحمان الذي كان قد امره بتأليف كتابه (الجيش). وهي

نفسها المسائل التي حاكمه فيها العربي المشرفي في كتابه (الحسام المشرفي...)(14) السابق الذكر.

ولكن مهما كان فان حجة الزياني وحجة الوتري فيما يخص جواب حمدون بن الحاج على رسالة الوهابي تظل ضعيفة جدا امام الحجج التي قدمها اكنسوس، وهي حجج قوية موثقة خصوصا اذا عرفنا ان الزياني في هذه المرحلة التي اجاب فيها السلطان سليمان على رسالة الوهابي كان قد استقيل من منصبه(15) وان اكنسوس هو الذي كان بجانب السلطان كوزير له، وعلى يده كانت ترسل هدية المغرب السنوية للحرمين.

ومن جهة اخرى ينبغي ان نعرف بان اكنسوس وحمدون بن الحاج والسلطان سليمان كانوا جميعا ينتمون للطريقة التجانية، وان احمد التجاني الذي استقبله السلطان سليمان استقبالا كريما وآواه وشرفه كان يقول بالسلفية الوهابية وكان بدوره – مثل الوهابي – يمنع مريديه من زيارة القبور سدا للذريعة ايضا. وان السلطان سليمان اصدر بدوره رسالة للأمة المغربية(16) يدعوا فيها الى الامتناع عن مواسم الأضرحة والذبائح والقرابين وغيرها من الممارسات المبتدعة التي كانت قد تغلغلت في الشعب المغربي وشوهت اسلامه. ومن المعروف ان رسالة السلطان هذه كانت من اهم اسباب تأليب الطرق ضده واندلاع الثورات عليه في مجموع جهات المغرب(17) ويبدو ان الزياني لم يكن على علم بالخلفيات المذهبية للسلطان او لم يكن على علم

(14) ننقل هذه المآخذ التي ذكرها العربي المشرفي بنصها حيث قال :
« ... بدأ الامر مع ولي الله سيدي احمد البكاي ... ختم في اساطير : التاريخ بما كذب فيه على ازهار الشماريخ ... رمى بالفسق زاوية ابي الجعد ... سب شيخ المشاييخ ... مولانا عبد القادر ... نفى الولاية عمن فيه رائحة النبوة ... مولانا ادريس ... وزندق ... مولاي العربي الدرقاوي ... اطلق لسانه في قواد الدولة وامرائها واشرافها ووزرائها ... رمى بالجهل ... مولانا عبد الهادي السجلماسي ... بمثل ما رمى به... سيدي عبد الواحد بن سودة الفاسي ... كتم فضائل السيد محمد الصفار والسيد محمد غريط والفقيه ابن ادريس مع انهم كانوا وزراء الحضرة العالية ...»
يراجع (الحسام المشرفي ... مخطوط ص : 6).
ولكن معظم هذه التهم مختلقة ومزورة اللهم الا اذا كان اكنسوس ادخل تعديلا على كتابه عندما واجه هذه الضجة، اما كتاب الجيش الحالي فلا يوجد فيه مس بالمولى ادريس ولا للشيخ عبد القادر الجيلالي وفيه تنويه بابن ادريس الوزير...الخ انظر (الجيش العرمرم جـ 18/1 و 96 وما بعد و 141—142 اما بقية المآخذ فلأ كنسوس مواقف منها فعلا ولكن لاتستحق ذلك الهجوم.
(15) انظر ذلك مثلا عند كنون : ذكريات مشاهير رجال المغرب – العدد الثاني ص : 27
(16) انظر، نص الرسالة بكتاب الترجمانة الكبرى ص : 466—470
(17) انظر الاستقصا : ج 95/8 وما بعدها

تام وحقيقي بها لانه في الوقت الذي استقبل فيه السلطان احمد التجاني واكرمه نجد الزياني يتعرض لهذا الشيخ في كتبه بالشتم(18) واللعن والتسفيه وقد ربط الزياني في هجومه بين الوهابية والتجانية للعلاقة الموجودة بينهما فعلا، او ان التجانية كانت تمثل الوهابية بالاسلوب الطرقي الذي هو الاسلوب المألوف والمقبول وحده في المغرب آنذاك(19) نكتفي بهذا ونحن مقتنعون بان الرسالة ماتزال في حاجة الى مزيد الدراسة والنقد.

(18) انظر الترجمانة الكبرى. ص : 460 وما بعدها. وتحفة النبهاء – مخطوط ص : 7 جع وص 12 خم (من الاصل)

(19) ينبغي ان نفرق بين التجانية على عهد موسسها احمد التجاني، والتجانية بعده والتي اصبح نهجها كنهج بقية الطرق، وهذا ما يؤكد ان معظم المغاربة لم تنسجم السلفية الوهابية مع عقليتهم واسلوبهم في الممارسة الدينية على ما يظهر مما جعل الزياني يهاجمها. بينما تقبلها العدد العديد بصمت دون ان يقوم بالدعوة لها، وحاول التجاني ان ينشرها بالاسلوب الطرقي لمعرفته بعقلية اخوانه المغاربة الميالة للطرقية، ولكن بعد وفاته اصبحت التجانية الوهابية (السلفية) طريقة كبقية الطرق لتتكيف مع العقلية التي لاتنسجم الا مع الطرقية.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

الصفحة الأولى من مخطوطة : ما ابرزته الأقدار

بلذات الأنس والشفاء والقلب وعافية الجوارح من العطب
اللهم انفعنا بجمعه وامتنا عليه واحشرنا في زمرتهم واجرنا
النجاة [illegible] لنا الاحسانا
و[illegible] ونصحبنا ونطلبك
و[illegible] القلوب الآفات
[illegible] ونرجعنا غانمين سالمين
الى وطننا [illegible] مشغول وصلى الله على
سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب
العالمين

الصفحة الأخيرة من : ما ابرزته الأقدار

رسالة الوتري : —

«ما ابرزته الاقدار
في نصرة ذوي المناقب والأسرار»

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله سيدنا محمد وآله

* الحمد لله موضح سبيل الرشاد باندثار طريق العناد، والصلاة والسلام على القائل «من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه»(1) وعلى آله وصحبه الذين لم يقدموا على امر حتى يعلموا ما حكم الله فيه، وبعد —

فلما منّ الله عليّ بالرحلة إلى الديار المغربية(2) التي هي بكل فضيلة حرية، واجتمعت بعلمائها وفضلائها وشرفائها وصلحائها، كثيرا ما كنت اسمعهم يذكرون تأليفا مستحدثا في الدولة العلوية الشريفة النقية، الفه بعض فقهاء مراكش المحمية(3)، وانه من الحسن بمكان لولا ما فيه من عثرات اللسان بذكر سادة اعيان اتفق على فضلهم الانس والجان (!) فلم يزل ذاك يختلج بالصدر وربما حملته على اتفاق العصر، فلما وصلت إلى مراكش(4) حرسها الله تواتر الخبر بذلك فطلبت بعد مدة التاريخ المذكور ليطمئن الجنان اذ ليس الخبر كالعيان، فرأيت الامر كما ذكر وتواتر وشهر(5) فاخذني ما يأخذ اهل الايمان عند تنقيص الفضلاء الاعيان سيما من هو فيهم كالانسان للعين والعين للانسان وتشبيهه اياه برئيس الطغيان الذي لا يشبه به ادنى انسان من اهل الايمان فضلا عن رئيس حملة شريعة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم، فصرت

---

(1) حديث حسن رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة ونقله النووي في الرياض رقم 67.
(2) كان المؤلف على الوترى بالمغرب خلال 1287 هـ و 1297 هـ (راجع ترجمته هنا).
(3) يقصد به كتاب الجيش العرمرم.. لاكنسوس كما سيوضح ذلك بعد.
(4) كان بمراكش عام 1287 هـ كما سبق ان عرفنا.
(5) التواتر والاشتهار يدل على ان (اكنسوس) واجه نقدا شديدا من جهات متعددة سواء في فاس او في مراكش (راجع الملاحظات المتعلقة بالتعريف بالرسالة).

اقدم رجلا في بيان ذلك وأؤخر اخرى وان كان التقدم فيه أوجب واحرى، لكني اردت مع ذلك الاذن الصريح والاعانة ليكون اقوى في اضمحلال قول الزور ومن نقله واعانه. فنمت على تلك النية، فرأيت فيما يرى النائم ان الشريف الجليل الحسيب النسيب امير الحجاز سيد عبد الله بن عون جاء من مكة لأ جل زيارة جده صلى الله عليه وسلم قاصدا النزول في دارنا، فهيئنا له ما يليق بجنابه والاكابر الذين معه من الطعام والفراش، وحين وصل إلى الدار يسأل عني فقيل له قد مضى إلى السوق لقضاء بعض الحوائج فانتظرني قليلا ثم دخل الدار مع من معه وجلس على السرير المعد له، وجلس كل من الاكابر بحسب مقامه واوصى الاكابر اني اذا جئت يأمروني بالجلوس بباب الدار امنع من يريد الدخول عليه من الاوباش، فلما جئت اخبروني بذلك فامتثلت امره وجلست بباب الدار أذب عنه.

واستيقظت على ذلك فعلمت أنه الاذن الصريح والابانة بقبول ذلك والاعانة، واني وان كنت منزويا في زاوية الخمول ولست معدودا من العلماء فضلا عن الفحول سيما والغريب بقيد الهموم موثق وبسهم العيون مرشق وعمر الصفر قصير. وتفصيل ذلك يحتاج إلى طول مدة وكثرة المواد والعدة.

* لا كن لما تذكرت ان السكوت على الباطل رضى به والراضي بهذا وامثاله مبارز لربه، قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل «من عادى لي وليا فقد أدنته بالحرب»(6) فاي عداوة اعظم من اخراجهم عن دائرة اهل السنة والجماعة ونسبة اقوال المبتدعة اليهم وتشبيههم بهم وهم المبرأون من ذلك وقد امرنا بتبرئتهم ونصرتهم وصحبتهم وبغض من عاداهم والرد عليه بكل ما امكن من يد أو لسان أو قلب قال صلى الله عليه وسلم ما معناه «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان»(7)، فاي منكر أكبر من

(6) الحديث بتمامه هو، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب الي عبدي بشيء احب الى مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وان سألني اعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه» — رواه البخاري، ونقله النووى في الرياض رقم 385.

(7) رواه مسلم في صحيحه عن ابي سعيد الخدرى ونقله النووى في الرياض — رقم 184.

تفسيق(8) رؤساء الامة وثقاتها وما حياة(9) الأمة بعد شتمهم الا كمماتها انتدبت(10) إلى بيان ذلك ولو على طريق الاجمال لأخرج عن عهدة هذا الوبال، فما لا يدرك كله لا يترك كله بما أرجو ان يكون مقنعا لمن سلك طريق الانصاف ولم يتنكب عن الحق إلى العناد والاعتساف فان الكلام معه لا مع من طبع الله على قلبه واستولى حجاب الغفلة على عقله ولبه(11).

لقد أسمعت لو ناديتُ حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

فاقول متبرءا من القوة والحول أو لا اذكر العبارة المقصودة بتمامها لينبني عليها الكلام.

قال في الكتاب المذكور المسمى (بالجيش العرمرم) عند ترجمة السلطان سيدي ومولاي سليمان رحمه الله تعالى ما نصه : «قال الزياني وفي سنة سبعة وعشرين وما ئتين والف ورد كتاب من تونس لفاس وجهه المبتدع الوهبي(12) القائم بجزيرة العرب بمذهب الطائفة الوهبية من طوائف أهل البدع لما ملك الحجاز وتغلب على الحرمين الشريفين ومنع الناس من الحج والزيارة فكتب للآفاق كالعراق والشام ومصر وافريقية يدعوهم إلى اتباع مذهبه الخسيس، ولما بلغ كتابه لتونس وجه مفتيها(13) نسخة منه لعلماء فاس لينظر ما عندهم في الجواب، فتصدى للجواب عنه

(8) يتهم المؤلف علي الوترى المؤرخ اكنسوس بأنه فسق العلماء الذين اجازوا للسلطان محمد بن عبد الله اخذ المكس عندما خالفهم اكنسوس في ذلك ورد عليهم بالآية الكريمة (فمن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون... الاية44 من سورة المائدة). ومن ثم يكون اكنسوس قد عرض بالسلطان نفسه حسب زعم الوترى. والواقع عندما نراجع سياق كلام اكنسوس لانجده يقصد ذلك بالذات وانما يحاول ان يوضح الظروف التي يجوز فيها اخذ المكس او التوظيف حسب قوله موضحا حكم الله فيمن يحكم بجواز اخذ المكس وكان الحكم مخالفا للظروف المناسبة. هكذا يبدو لي والله اعلم. يراجع (الجيش العرمرم. جـ 1/141 – 142).

(9) يكتبها غالبا (حيوة) تبعا للرسم القرآني، ونادرا ما يكتبها (حياة).

(10) راجع في التعريف سابقا الاسباب التي دفعته الى تأليف هذه الرسالة.

(11) اذن من لم يتفق مع الوترى يعتبر في نظره معاندا معتسفا مغفلا، بهذه الشرعية المقلوبة يناقش الوترى اكنسوس وينقده.

(12) يقصد بالوهبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الوهابي، فهو الذي كان زعيم الحركة الوهابية في هذه الظروف كما سيأتي في ملاحظة قادمة.

(13) ربما يكون مفتيها آنذاك هو العلامة (عمر المحجوب التونسي) لانه هو الذي اجاب الوهابي على رسالته انظر – الاجتهاد والتجديد، ص 339 حيث يوجد نص جواب عمر المحجوب نقلا عن كتاب اتحاف اهل الزمان.

الفقيه الاديب السيد حمدون بن الحاج ولم يعلم به غيره(14) فكتب الجواب ومدحه بقصيدة ميمية مطلعها.

حق الهناء لكم جيران ذى سلم ... وبارق واللوا والبان والعلم

استمر فيها غفر الله له إلى ان تخلص لمدحه فقال :

سعود بعد سلام الله شاعك من ... غرب يسير لشرق ضائع النسم
هذا كتاب اليك من محب اتى ... اذ ما تأتّى له الاتيان بالقدم
مخاطب لك باللسان من قلم ... اذ ما تسنى له تخاطب بفم
وانه من سليمان وانه بسم اللـه لَا زِلْتَ ... باسم الله أي سم
اعلم وقيتَ الردا لا زلتَ بَدْرَ هُدًى ... لبوسا اي ردا من السنا العمم
ان قمت فينا بأمر لم يقم احدٌ ... به فجوزيت ما يُجزاه ذو نعم
بقطع اهل الحروب بالحجاز بان ... يقتلوا أو يصلبوا بلا وهم
أو ان تقطع ايديهم وارجلهم ... عن الخلاف أو ان ينفوا من ارضهم
حتى جرى الماء في بلاد الحجاز بان ... طلعت سعد سعود غير ملتثم
لا شيء يمنع من حج ومعتمر ... وزورة تكمل المامول من حرم
اذ عاد درب الحجاز اليوم سالكه ... أهنا وآمن من حمامة الحرم
مذ لاح فيه سعود ماحيا بدعا ... قد أحدثتها ملوكُ العرب والعجم

واستمر عفا الله عنا وعنه على هذا الاسلوب وتحمل ما اثقل كاهله من الذنوب، والله لو علم امير المؤمنين ما اقترفه وجلبه لكان في الحين عجل به وصلبه وان خففه عقوبته سبه وضربه وإلى السجن جره وعذبه فكيف يمتدح المبتدع الضال ويشكر، بل يسب ويلعن ويهجر»(15) قال ممليه(16) تمادى هذا المجهول الزياني على الفحش والتنقيص لعالم الدنيا، وامام الملة، المحدث المفسر، بحر العلوم المنقولة والمعقولة، القائم الصائم الذي نفع الله بعلومه وتآليفه جميع المسلمين، مع ان الشيخ ابا الفيض سيدي حمدون انما اجاب بأمر السلطان وعلى لسانه، وذهب بجوابه ولده وخليفته مولاي ابراهيم مع جماعة من العلماء(17) حتى قرأوا جوابه على سعود، وكان ذلك الجواب

(14) سبق ان حققنا في التعريف بان حمدون بن الحاج اجاب بأمر السلطان بخلاف ما تدل عليه عبارة الزياني هنا.

(15) انتهى الاقتباس الذي اقتبسه اكنسوس من الزياني في تحف النبهاء، المخطوط السابق ص : 12.

(16) اي اكنسوس الذي ما يزال كلامه مستمرا.

(17) سيذكر اكنسوس بعد قليل اسماء هؤلاء العلماء ابتداء من (الزداغي... الخ).

البديع لهم سببا كريما ولكل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والأمان وغاية البر والاحسان.

حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك الحجة مثل الفقيه العلامة القاضي السيد محمد بن ابراهيم الزداغي والفقيه العلامة القاضي سيد العباس بن كيران الفاسي والفقيه الشريف البركة سيد الامين بن جعفر الحسني الراتبي والفقيه الموقت الصادق الامين السيد عبد الخالق الودى، حدث كل واحد منهم انهم ما رأوا من ذلك السلطان سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشرع وانما شاهدوا منه ومن اتباعه غاية الاستقامة والقيام بشرائع الاسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المناكر المحرمة وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل بها جهارا بلا انكار، وذكروا ان حاله كحال احد الناس لا تميزه من غيره بزى ولا مركوب ولا لباس، وانه لما اجتمع بالشريف الخليفة مولانا ابراهيم اظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الشريف وجلس معه كجلوس هؤلاء المذكورين وغيرهم من خاصة مولانا ابراهيم.»

حوار البعثة المغربية مع زعيم الوهابية.

«وكان الذي تولى الكلام معه هو القاضي ابن ابراهيم الزداغي وكان من جملة ما قال له : ان الناس يزعمون اننا مخالفون للسنة المحمدية فأي شيء رأيتمونا خالفناه، في السنة، واي شيء سمعتموه عنا قبل رؤيتكم لنا [؟]، فقال له القاضي المذكور : بلغنا انكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوى، فقال له : معاذ الله، انما نقول كما قال مالك «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»، «فهل في هذا مخالفة» ؟ فقالوا لا، وبمثل هذا نقول نحن ايضا. ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم انكم تقولون بعدم حياة النبي واخوانه(18) عليهم الصلاة والسلام في قبورهم، فلما سمع ذكر النبي ارتعد ورفع صوته بالصلاة والتسليم عليه، وقال : معاذ الله، بل نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره، وكذلك غيره من الانبياء، حياة فوق حياة الشهداء. ثم قال له القاضي : وبلغنا انكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة الاموات قاطبة مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها، فقال : معاذ الله

(18) يقصد باخوانه الانبياء والرسل.

ان ننكر ما ثبت في شرعنا، وهل منعناكم انتم منها لما عرفناكم انكم تعرفون كيفيتها، وآدابها، وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ويطلبون من الاموات ان تقضي لهم اغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية، وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكار مسير الزائر إلى ما صار اليه المزور، ثم يدعوا له بالمغفرة ويتشفع به إلى الله تعالى ويسأل الله تعالى المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق ان يستشفع به، هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه، ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة(19)، فأي مخالفة للسنة في هذا القدر»، «هذا ما حدث به اولائك المذكورون، سمعنا ذلك من بعضهم جماعة، ثم سألنا الباقي افرادًا(20) فاتفق خبرهم على ذلك. وهذا المذكور كله ليس فيه ما ينكر، وغاية ما يقال في الوهبي المذكور انه من غلاة الحنابلة تبع الإمام احمد(21) رضي الله عنه مثل ابن تيمية(22) وابن حزم(23) فان الحنابلة رضي الله عنهم لهم مسائل ينكرها

---

(19) سدا للذريعة اي سدا للاسباب التي قد تؤدى الى الشرك، فسد الذرائع هو منع الاسباب، وباب سد الذرائع في المذهب السني والفقه المالكي بالخصوص مشهور معلوم، والهدف منه هو سد باب الشبهات والاسباب التي قد تؤدى الى الفساد، لان الفعل اذا كان في صورته العامة حسنا ويتضمن عنصرا سلبيا قد يؤدى ذلك العنصر او ذلك السبب الى الفساد او تتولد عنه اسباب فاسدة او فتنة يمنع ذلك الفعل سدا للذريعة اي اتقاء شر الفساد او الفتنة او ما يؤول اليهما.

(20) يدل هذا بوضوح ان اكنسوس حاول ان يوثق الامور ويتأكد من حقيقة الدعوة الوهابية، كما يدل على ان صدى الدعوة الوهابية كان محل نقاش كبير بين علماء وفقهاء المغرب، وذلك من اجل اتخاذ موقف واضح منها، ويبدو أن استفسار اكنسوس لعدد من العلماء الذين حجوا مع ولد السلطان كان من اجل ضبط هذا الموقف، وقد تبين من كلامه هذا انه كان قد ايد هذه الدعوة بناء على ما تحقق له، ويتضح من مضمون كلامه ان السلطان كان بدوره مؤيدا لها، ولكن الغموض يظل سائدا حول الخلفيات والاسباب الحقيقة لهذا التأييد بالنسبة للسلطان بالخصوص اهي أسباب ايديلوجية سلفية فعلا ام سياسية الهدف منها ضرب القوات السياسية لمختلف الطرق وهذا بعيد في رأينا.

(21) (164 — 241 هـ / 781 — 856 م).

(22) هو احمد تقي الدين ابن تيمية ولد بحران عام (661 هـ) وعندما هجم عليها التتار غادرها مع اسرته الى دمشق حيث تربى في رعاية والده الذي تولى التدريس والوعظ بجامع دمشق ثم درس على عدد كبير من علماء عصره، ولذكائه الشديد فقد اصبح من العلماء المبرزين في مختلف العلوم العقلية والنقلية وهو ما يزال في حدود العشرين من عمره. وقد واكب ظروفا صعبة ادرك فيها ان المسلمين اخذوا ينحرفون بالدين الاسلامي وحقيقته واهدافه مما جعله يكرس حياته لتصحيح المفاهيم الاسلامية السلفية الصحيحة وتنقية الدين مما علق به من الشبهات وهي الرسالة التي كرس لها حياته وقلمه مما جعله يتعرض للسجن عدة مرات ويمنع من الكتابة والتأليف، وتعتبر الكتب العديدة التي خلفها في الفقه والتفسير والاصول والكلام والمنطق وغيرها من اهم الكتب في العلوم الاسلامية، كما يعتبر ابن تيمية حجة في الشريعة الاسلامية وقد كان على مذهب الامام احمد بن حنبل، والحقيقة انه كان على جميع المذاهب واحيانا كان يتجاوزها باجتهاده، توفي رحمه الله في ذي القعدة من عام 728 هـ وكان قد كون لنفسه شعبية كبيرة في العالم =

غيرهم من ارباب المذاهب ولا يضرهم ذلك، وهكذا اهل كل مذهب لا يقولون الا بقول امامهم وينكرون غيره.

فهذا اكبر اتباع الامام احمد رضي الله عنه وهو الشيخ الكامل المكمل مولانا عبد القادر الجيلاني[24] رضي الله عنه وأرضاه، فقد ذكر في كتابه (الغنية) الطائفة الطاهرية الاشعرية التي وقع الاجماع المعتبر على ان معتقد السنة هو معتقدهم، لما ذكر الشيخ الجيلاني رضي الله عنه في الكتاب المذكور الفرق الضالة وعدهم عدا، ذكر الاشعرية من جملتهم، وقال في حقهم : انهم لا تؤكل ذبيحتهم ولا تسنم قبورهم اذا ماتوا ولا يناكحون واطال في ذلك، فاذا كان هذا واقعا من هذا الشيخ العظيم، ولا ينقص ذلك من قدره شعرة واحدة، فاذا مدح شخص مولانا عبد القادر كما هو الواجب فلا يلام المادح له، ويقال له انك مدحت من خالف الاشعرية باعتقاده واجتهاد امامه. فاذًا لا ملامة على الشيخ أبي الفيض سيدي حمدون في مدحه لسعود بأمر أمير المومنين اذ علم انه ليس من علماء الوقت من يحسن الجواب عن ذلك الكتاب غيره، على انه ما مدحه على اعتقاده المخالف، انما مدحه بأفعاله الحسنة الظاهرة من تأمينه الحجاج وتنظيفه وغير ذلك مما لا ينكر حسنه».

«والذي اوقع الزياني في أمثال هذا في كثير من المواضع في كتابه هذا[25] وفي غيره من تقاييده التي نجس بها هذه الدولة العلوية انما أداه إلى ذلك الجهل المركب،

= الاسلامي لموقفه ولعلمه وللمحن التي لقيها من اجل الدفاع عن الشريعة والحق. ترجمته مشهورة وانظر على سبيل المثال (الاجتهاد والتجديد) لمجموعة من اساتذة تونس ص. 263—290.

(23) (384 — 454 هـ) هو الامام ابن حزم الشهير صاحب المذهب الظاهرى، ترجمته كثيرة، وانظر مثلا كتابه مراتب الاجماع.

(24) هو الشيخ المربي عبد القادر بن ابي صالح الشريف الحسني المعروف بالجيلاني المتوفي ببغداد سنة 561 هـ صاحب الطريقة الجيلانية المنتشرة في مختلف جهات العالم الاسلامي، وقد كانت منتشرة في المغرب حتى القرن 7 هـ حيث طغت عليها الطريقة الشاذلية ثم ازدادت الشاذلية رسوخا في القرن 8 هـ مع سليمان الجزولي، ثم نمت اكثر في القرن التالي 9 هـ مع الشيخ احمد زروق شارح احزاب الشاذلي ومجدد طريقته في شمال افريقيا.

(انظر حجي، الزاوية الدلائية، ص 63)

(25) يقصد به (تحفة النبهاء في التفرقة بين الفقهاء والسفهاء) للزياني، وهو الكتاب الذي افحش فيه الزياني فحشا كبيرا عندما وصف بعض الفقهاء باوصاف قبيحة جدا يندى لها الجبين ويستحي الانسان ان يذكر ها مع نفسه فبالأحرى ان يكتبها. كما يصعب أن تقال في حق شخص مهما كان، بالاحرى في حق مسلم فقيه (انظر تحفة النبهاء... مخطوط خع رقم 2953، ص 7 - 8 المجموعة التي سماها البغاة، ووصف عناصرها بانهم ابناء زنى...الخ لانهم وقعوا على وثيقة خلع السلطان المولى سليمان، لذلك سماهم بالخوارج).

فانه احد الاصول التي هي أصول الكفر، كما ذكر الامام السنوسي في المقدمات وشرحها، والله يعصمنا من ذلك والحمد لله الذي عفانا مما ابتلاه الله به.

وفي عام ستة وعشرين ومائتين والف وجه السلطان ولده الخليفة مولاي ابراهيم لاداء فريضة الحج مع الركب النبوي من حضرة فاس(26). ثم ذكر بعد اسطر ان مولاي ابراهيم قدم من الحج في رمضان من عام سبعة وعشرين ومائتين والف إلى آخر ما ذكر. وفي آخر العبارة قال «ومن جملة ما حدث به الحجاج عن المولى ابراهيم انه لو لم يكن معهم في هذا الركب ما حجوا ولا بلغوا تلك الاماكن المحترمة وذلك لان الوهبي عظمه غاية التعظيم وعظم جميع من حج معه، وسبب ذلك التعظيم وذلك الاعتنا انما هو حسن ذلك الجواب الذي اجاب به شيخنا ابو الفيض سيدي حمدون على لسان السلطان(27) انتهى كلام صاحب الجيش.

تعريف المؤلف بابن عبد الوهاب.

قوله المبتدع الوهبي إلى آخره .. اعلم ان هذا المبتدع من قرية بين اليمن ونجد تسمى في محاورتنا بالدرعية والأصل دُرَيْعة كَجُهينة كما ذكر في القاموس، والمشهور في اسم المبتدع عندنا : وهابي، لا وهبي، وقبيلته تسمى بعسير، وهي في الكثرة كالجراد، لم تكن قبيلة في الحجاز اكثر منها. ولما خرج في البلدة المذكورة هذا المتبدع واشتهر بها وبنواحيها مذهبه الخبيث، ذهب بجيشه إلى الحرمين الشريفين(28) ليجاهد من بهما بزعمه الفاسد انهم مشركون ثم بعدها يتوجه لغيرها، فوصل إلى مكة وأقام بها مدة وفعل بها الافاعيل المتواترة من القتل والنهب والبدع العظيمة فلا نطيل بذكر ذلك. ثم انه توجه إلى المدينة المنورة وحاصر اهلها مدة من السنين، لانها من المعلوم قديما انها

(26) اكنسوس الجيش العرمرم... ج 1 / 195 / 198 طبعة حجرية، وهذا الاقتباس الطويل الذي اقتبسه علي الوترى من اكنسوس هو الذي سيتعرض له بالنقد فقرة فقرة فيما بعد.

(27) الجيش العرمرم... ج 1 / 199 طبعة حجرية.

(28) لا يوضح المؤلف هل يقصد محمد بن عبد الوهاب شيخ الدعوة الوهابية او ابن سعود الزعيم العسكري للدعوة الوهابية، لان الاول اصله من العيينة ثم انتقل للدرعية، بينما الثاني اصله من الدرعية فعلا، والمهم ان كلام المؤلف غامض وغير مضبوط.

كما ان المؤلف يصف هنا دخول الوهابي للمدينة المنورة وصفا فيه نوع من التوجيه والتحامل كما تدل على ذلك ألفاضه مثل «المبتدع... بزعمه الفاسد...». ويدل هذا على ان المؤلف وهو من المدينة المنورة التي فتحها الوهابي يحمل عداء شديدا للدعوة الوهابية وزعمائها الروحيين والعسكريين ربما لاسباب سياسية اكثر منها دينية هي التي حاولنا الكشف عنها في الدراسة (التعريف السابق للرسالة).

لا تدخل الا بالخداع والحيلة كما وقع في وقعة الحرة زمان يزيد، ووافقه على حصارها الاعراب الذين حولها لما بينهم وبين اهلها من العداوة والحروب، وكان اذ ذاك لم يدخلها الترك والعسكر من أهلها، وهم على اربعة اقسام : قلعجية وسباهية وانجشارية ونوبجتية، وعلى كل قسم : كبير يسمى بالكيهية، وتوضع مفاتيح القلعة التي بها البارود والرصاص كل ليلة عند واحد من الاربعة. فلما أيس المبتدع من دخولها ارسل إلى احدهم خرجين من الذهب وطلب منه ان يمكنه من مفاتيح القلعة ليلة نوبته فلما حانت نوبته مكنه من المفاتيح خفية ودخل البلاد فلم يسع أهلها الا التسليم، فنادى مناديه : ايها المشركون يقول لكم الامير سعود لا يبقى احد منكم بالسور الداخل بعد مضي اربع وعشرين ساعة الا قتله ونهب ماله، فلم يسعهم الا الخروج بارواحهم وعيالهم وما قدروا على حمله من المتاع إلى ديار اخوانهم من سكان السور الخارج وهي قليلة لا تسعهم فكان نحو العشرة من الديار يسكنون في دار واحدة، وبعضهم هرب خفية إلى مكة وغيرها ايام الحصار وبعده، فما فرغ السور الداخل ودخله المبتدع وجيوشه الكثيرة، ومن كثرتهم كان نحو الخمسين والستين منهم يسكنون الدار والواحدة، فعل الافاعيل القبيحة التي سيجيىء بعضها عند ذكر معتقده ان شاء الله تعالى. ثم بعد ثلاثة ايام جمع اهل المدينة المنورة بالمناخ واحاط بهم جيشه وفي ايديهم المكاحل المعمرة بالرصاص، وقال لهم : اني سائلكم عن اشياء، فان احسنتم الجواب نجوتم والا قتلتكم بهذا الجيش فلا ينجو منكم احد، فمن سؤاله لهم : اترون نبيكم هذا يشفع أم لا، فتحيروا لانهم ان قالوا بالشفاعة قتلوا عن آخرهم والا فقد خالفوا الاجماع وارتكبوا اثما عظيما، فانتصب العالم العلامة الاديب الخطيب احمد الياس رحمه الله واقفا وكان مقداما وقرأ : «الله لا اله إلا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم إلى قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه»(29) فقال له احسنت، ومنه : ما ترون في آبائكم أماتوا على الكفر ام على الايمان، فتحيروا ايضا لانهم ان اجابوه بانهم على الايمان قتلهم والافقد ارتكبوا اثما عظيما، فاجابه العالم المذكور : فالله اعلم بذلك،

(29) الآية : 255 من سورة البقرة. وحقيقة الشفاعة كما في القرآن الكريم لاتكون الا باذن الله فعلا. ويبدو لي ان ابن عبد الوهاب لم يكن في هذا مخالفا للشريعة. في حين نجد المؤلف هنا يراه مبتدعا مخالفا للشريعة ولا يقول بالشفاعة.. بينما هنا يقول بالشفاعة الماذون بها وكما هو متطابق مع القرآن الكريم. اذن لاينكر الوهابي الشفاعة الصحيحة بدليل انه قال لاحمد الياس : «احسنت». اذن فقد احسن في فهم معنى الشفاعة فهما صحيحا، وبالمقابل يظهر ان الشفاعة في نظر الوتري لها مفهوم آخر، وهذا واحد من عناصر الخلاف التي تحدد الفرق بين السلفية وغيرها وبين السلفيين وغيرهم.

فقال له احسنت، ثم انه لم يزل يعنتهم ويؤذيهم مدة اقامته فيهم وهي سبع سنين حتى قيض الله له معجزة لمن هم في جواره صلى الله عليه وسلم المرحوم المبرور جناب ابراهيم باشا المصري[30] وسبب ذلك ان المبتدع المذكور كان يمنع الركب الشامي والمصري من الدخول للمدينة المنورة وياخذ ما جاءا به للحرمين الشريفين من الاموال والشمع والزيت. ولقد اخبرني بعض فضلاء المدينة المنورة انه شاهد بعض الزوار من اهل الاموال والرئاسة يتزيا بزي الجمالة التي تدخل جمال الزيت إلى المسجد الشريف ويدخل معهم ليشاهد بعينيه ذلك المقام الشريف ولو مرة ليلا يموت حسرة على ذلك.

وكان الحجاج واهل المدينة يخبرون الدولة بذلك المبتدع فيقيض الله رجلا يمنع، ووصول ذلك إلى حضرة المرحوم السلطان محمود خان ليقضي الله امرا كان مفعولا. ففي آخر سنة، ارسل الرجل المذكور، كبيرا على الركب الشامي من طرف الدولة فلما وصل إلى المدينة المنورة ومنعه المبتدع من الدخول رفع الامر إلى السلطان فامر المرحوم محمد علي باشا المصري بأخذ المدينة من يد المبتدع، فأرسل اليها ابراهيم باشا فأخذها بالحيلة، ودخل عليها من تحت الارض، ومن اغرب ما كان، انه حين دخل عليهم وضع الله عليهم الذل والخوف ولم يجسر احد منهم على المقابلة، مع كونهم مدججين بالسلاح لا يخلو أحدهم منه، فكانت المرأة من اهل المدينة تدخل البيت فتجد عدة منهم فتخرجهم واحدا بعد واحد إلى من يقتلهم وهم لا ينطقون بشيء ولا يقدر احدهم ان يمد يده إلى السلاح، وما ذالك الا معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم ومصداقا لقوله في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم : «من اراد اهل المدينة بسوء اذابه الله كما يذوب الرصاص في النار والملح في الماء».

ولقد حدثني بعض فضلاء المدينة المنورة انه كان بمكة زمان كان المبتدع بها، فشاهد العالم العلامة والمحقق الفهامة القطب الكامل سيدي المرحوم عمر عبد الرسول المكي يجمع الصلحاء عند الملتزم خفية ويرفعون ايديهم ويقول : اللهم سلط الوهابي على المدينة المنورة، ويامرهم ان يؤمنوا على دعائه واذا سئل ما الحكمة في ذلك

(30) كلف السلطان التركي محمود الثاني (1808 — 1839) واليه على مصر محمد علي بالقضاء على الحركة الوهابية، فجهز جيشا كثيفا جعل على رأسه ابنه ابراهيم باشا الذي توجه من مصر الى شبه الجزيرة العربية سنة 1812، بعدما كان جيش مصري آخر قد سبقه الى هناك تحت رئاسة طوسوس بن محمد علي ايضا ولكنه انهزم انهزاما شنيعا امام الوهابيين، مما جعل ابراهيم باشا يستعد استعدادا كبيرا، غير انه لم ينتصر الا بصعوبة كبيرة نتيجة شجاعة وصمود الوهابيين، ودخل الجيش المصري الى المدينة المنورة عام 1812، غير انه عجز عن القضاء على الوهابيين نهائيا (بروكلمان : 553).

روى الحديث المتقدم ذكره، ولقد اجاب الله دعاءه واباد المبتدع وجيشه كما اباد جيش مسلم بن عقبة الذي فعل بأهل المدينة ما فعل بوقعة الحرة(31) فانه حين قفل منها قاصدا مكة مات في طريقه. واما ما كان من سعود امير المبتدعة فانه حين احس بدخول ابراهيم باشا هرب إلى بلاده ثم بعد مدة فتح محمد علي باشا الدرعيه واخذه وارسله إلى السلطان فقتل(32) قبحه الله، وقد ترك ولدا اسمه فيصل(33) وهو الآن كبير على قبيلته ولم تزل بينه وبين الدولة الحروب خصوصا بينه وبين الشريف الجليل سيد عبد الله بن عون امير مكة(34) ولقد شاهدناه عند وصولنا اليه بالطائف المأنوس عام 1285 يهيء الجيوش لغزوه.

---

(31) يقصد المؤلف بوقعة الحرة، المعركة التي دارت بين اهل المدينة المنورة وجيش اليزيد بن معاوية بقيادة مسلم بن عقبة الذي هاجم اهل المدينة عندما رفضوا مبايعة اليزيد، وكانت بداية هذا الهجوم من الحرة قرب مدخل المدينة المنورة من جهة الشمال، حيث قتل عددا كبيرا من اشراف المدينة وشتت شملهم وذلك سنة 63 هـ / 683م، ثم خرج منها متوجها لاخضاع مكة غير انه مات في الطريق كما يشير المؤلف الى ذلك هنا. (انظر : بروكلمان – تاريخ الشعوب الاسلامية ص : 129)

(32) هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود حاصره ابراهيم باشا شهورا طويلة في الدرعية حتى استسلم له فارسله الى استنبول حيث قتل هناك على يد الجلاد. وكان استسلامه في 9 شتنبر 1818م وقتل في نفس العام. (انظر بركلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ط 5 ص : 556) على ان الدولة الوهابية ستنبعث من جديد بعد سنوات قليلة.

(33) وقع المؤلف هنا في خلط كبير، لان فيصل ليس ابن عبد الله المقتول في استنبول، بل هو ابن (تركي) بن سعود اذ لما دخل ابراهيم باشا المدينة المنورة عام 1812 لم يستطع أن يقضي على دولة عبد الله بن سعود الوهابي الا في سنة 1818 م عندما حاصر عاصمته الدرعية عدة شهور ثم قبض عليه وارسله الى استنبول حيث مات هناك بيد الجلاد كما سبق، وبدا كأن دولة الوهابيين قد انقرضت، غير ان احد افراد اسرة ابن سعود واسمه (تركي) ابن عم عبد الله بن سعود المقتول كان قد نجا بنفسه في الدرعية، فقام وجمع شمل الوهابيين من جديد وطرد الحاكم التركي من الدرعية وازعج المصريين ازعاجا كبيرا، غير ان (تركي) قتل سنة 1832 على يد احد الزعماء المحليين الذين كانوا يعملون للوصول الى السلطة. ولكن ابنه فيصل (فيصيل بن تركي) وهو الذي يشير إليه المؤلف هنا نجح بمساعدة قائده عبد الله بن رشيد في أن يضمن لنفسه خلافة أبيه وكافأ فيصل قائده هذا بأن منحه حكما وراثيا على قبيلة شمر. وفي عام 1838 وقع فيصل اسيرا في يد القوات المصرية، فحمل الى مصر، ولكن خلفه عباس ساعده على الفرار، فرجع الى عاصمته وقاد الوهابيين من جديد حتى اكره آخر حاكم مصري على مغادرة البلاد سنة 1849 اي بعد وفاة محمد علي بسنة واحدة وابعد بذلك النفوذ التركي عن البلاد وبقي فيصل امير البلاد حتى توفي في نهاية العقد السابع من القرن التاسع عشر. (بركلمان : 556 — 557) وتوضح عبارة المؤلف هنا «وهو الان كبير على قبيلته..» ان علي الوتري كان بالمغرب وكتب رسالته هاته قبل نهاية عهد فيصل السعودي هذا اي قبل نهاية العقد السابع من القرن التاسع عشر او عند تمام هذا العقد.

(34) يبدو ان عبد الله بن عون هذا من سلالة الاسرة العلوية الشريفة التي تعاقب افرادها كأمراء على مكة المكرمة منذ القرن العاشر الميلادي، حسب بروكلمان (تاريخ الشعوب الاسلامية، ص، 551) خلال تعرضه للصراع بين الشريف غالب العلوي امير مكة مع الوهابيين في نهاية القرن الثامن عشر. وان ابراهيم باشا عندما قضى على عبد الله بن سعود الوهابي سنة 1818 وحرر مكة والمدينة اعاد الاتراك تنصيب احد =

معتقده :

هذا واما معتقده ومخالفته للسنة والجماعة فأمر متواتر مشهور لا يكاد ينكره احد. فمن مخالفته انه لا يقول بالشفاعة(35) ومن هنا كان يحرق دلائل الخيرات وتنبيه الانام لما فيهما من طلب الشفاعة والوسيلة، ومنها ان من لا يتبع مذهبه الخسيس فهو مشرك، ومنها أنه لا يجوز الاستغاثة بغير الله تعالى، ومن هنا محا ما كان دالا على الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم من الكتابة التي بالشباك الشريف مثل الياء من يا محمد وكان لا ينطق احد من اهل المدينة بيا رسول الله الا قتل حالا ولا ينادي احد احدا بيا مولانا أو سيدنا أو يقبل أحد يد أحد من العلماء والصالحين. ولقد اخبرني الشريف البركة سيد الحاج صروخ انه اخبره الفقيه الجليل الحاج محمد التازي من علماء مصر انه اتى في عام حجه إلى حانوت حجام في منى ليحلق رأسه، قال فأخذ الحلاق يقبل يدى لمعرفة بيني وبينه، وكان هناك احد الوهابية، فحين رأى ذلك من الحلاق قال له : لقد اشركت بتقبيلك هذا لأنك سجدت لغير الله تعالى، قال الفقيه المذكور فقلت له : ان السجود على سبعة اعضاء ليس الفم منها وان التقبيل قد ثبت في الحديث الصحيح، فقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين رضي الله عنهما، قال فنظر إلي المبتدع شذرا، فخفت منه، فحلقت بسرعة وذهبت فاختفيت ليلا يدل علي المبتدعة فيبطشوا بي. لأن ذلك زمن صولتهم بمكة. أقول ولقد وقع لي مثل هذه القضية، وذلك اني خرجت مرة خارج المدينة مع بعض الطلبة للتروح، فبينما نحن نمشي اذ رأى الطالب شيئا فأراد تنبيهي له فقال لي يامولانا انظر الى هذا، وكان اذ ذاك رجل مار يظن أنه حنبلي وهو من الوهابية، فسمع ما قال لي الطالب، فقال له اشركت فان مولاك هو الله، فلما اردنا جوابه هرب بسرعة لانه لم يكن لهم الآن صولة وانما تأتي منهم الافراد وتدعي انها حنبلية فتستتر بذلك.

ومن معتقدهم نكران كرامات الأولياء رضي الله عنهم، فقد هدم المبتدع المذكور قباب الصحابة والصالحين التي بالمدينة المنورة وبمكة المشرفة (36). ومنه قولهم

= الشرفاء من الاسرة العلوية المذكورة كأمير على مكة المكرمة، وعبد الله بن عون هذا هو احد افراد هذه الاسرة كان اميرا على مكة المكرمة باسم السلطان التركي.

(35) سبق ان عرفنا بان الوهابي لم ينكر الشفاعة في حقيقتها كما جاءت في القرآن الكريم، بل انكر الشفاعة الوثنية، ولكن يبدو ان المؤلف علي الوتري لم يكن قادرا على فهم الدعوة الوهابية اما لاسباب سياسية أو فقهية أو عقلية.

(36) تعرض بروكلمان لذلك بتفصيل (تاريخ الشعوب الاسلامية، ص، 552).

بعدم حيوة[37] الانبياء في قبورهم. وقولهم بالاستواء الذاتي فقد اخبرني من لا يتهم انه شاهد من اميرهم سعود وهو يدرس في التفسير بالمسجد الشريف النبوي خين وصل إلى قوله تعالى «الرحمن على العرش استوى»[38] انه قال لهم استواء كاستوائه هذا واشار إلى نفسه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. والحاصل انهم يخالفون مذهب اهل السنة في امور كثيرة يطول استقصاؤها وانما ذكرنا منها المشهور المتواتر على السنة الخاصة والعامة فمن اراد الاطلاع على تفصيل ذلك ورده فعليه بكتب شيخنا العلامة الفهامة عالم العراق حالا الشريف الجليل الشيخ داوود البغدادي المؤلفة في ذلك فانها مستوفاة بالمطلوب وهو حفظه الله تعالى لم يزل يرد عليهم ويردون عليه كما اخبرت بذلك في زيارته الاخيرة عام 1281.

نقد المؤلف لحمدون بن الحاج

قوله سامحه الله : «انه من سليمان وانه بسم الله[39] الخ، الظاهر ان الكتاب لم يكن باذن السلطان المذكور[40] لانه باتباع جده مشهور، وعلى فرض انه بأمره فقد ثبت رجوعه بعد سماعه بحقيقة عقيدة المبتدع، كما ذكر ذلك الزياني في آخر عبارته هنا، انه لما سمع السيد حمدون بجواب علماء تونس بلعن هذا المبتدع وسبه ندم على ما فرط منه ورجع عما صدر عنه، وكما اخبرني بذلك الشريف البركة سيدي الحاج محمد صروخ ان العالم العلامة الورع سيد عبد الرحمان الميلي التونسي المصري كان يقول بكفر السيد حمدون المذكور حين سمع بمدحه المبتدع. قال الشريف : فلما وفدت عليه عام حجتي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف انا وجماعة سماهم لي من علماء المغرب واجتمعنا به بداره بمصر واخبرناه برجوع السيد حمدون المذكور عما صدر عنه، قال لنا : انا رجعت عن التكفير ايضا.

قوله سامحه الله : «اعلم وقيت الردى[41] الخ، انظر ايها المنصف الى هذه العبارة التي لا تصدر عن جاهل فضلا عن عالم من علماء الاسلام وكيف مدحه بضد ما هو فيه، فانه قبحه الله قام بقطع اهل الشرف والعلم والصلاح وقتّلهم

(37) كذا يكتبها أحيانا تبعا للرسم القرآني الكريم.
(38) الآية، 5 من سورة طه
(39) هذا شطر من البيت الخامس من قصيدة حمدون بن الحاج الواردة هنا برسالة المؤلف.
(40) هذا مجرد كلام لا يقوم على حجة، وقد قدمنا ان حجة اكنسوس اقوى من غيره.
(41) شطر من البيت السادس من قصيدة حمدون بن الحاج الموجودة هنا.

وصلّبهم وقطع ايديهم وارجلهم ونفاهم عن ارضهم حتى اجرى الدم في ارض الحجاز، لانه قد طلع فيهم سعد الذابح غير ملتثم ومبال، بل مظهر لكفره وعدوانه، لا شيء يمنع من حج وعمرة وزيارة سواه حتى عاد درب الحجاز في ذلك الوقت لا يملكه الا هو واتباعه أو من يقرهم على مذهبهم ولو ظاهرا، قد خرج فيه نحس مظهرا بدعا لم تعهدها ملوك العرب والعجم فيما سبق من الأمم، فلا شك ان السيد حمدون رحمه الله ندم على ما كان منه كما قدمناه، ومن تاب تاب الله عليه، والعهدة على من يرى الحق كالصبح الصادق ويتعامى عنه. فكيف يظن بعالم من علماء الاسلام جهل شيء من ضروريات الشرع الشريف.

الاطار الشرعي للحكم عليه بالتكفير

واعلم ان حاصل ما ذكره القاضي عياض(42) في (الشفا) «ان اهل المبدع والاهواء نوعان : نوع وقع الخلاف في تكفيرهم، والنوع الآخر لا خلاف في تكفيرهم، فالاول ما كان منهم ذلك على سبيل التأويل، والشبهة المفضية إلى الفساد، ومخالفة اهل السنة والجماعة، كالمعتزلة والاباضية والمرجئة واكثر الخوارج وبعض الروافض، فجمهور السلف وبعض المتكلمين على تكفيرهم، وجمهور المحققين وبعض السلف على عدم التكفير، والاصل في ذلك وقوع الاجماع المعتبر على ان الحق في اصول الدين واحد والمخطىء فيه آثم عاص فاسق، وانما الخلاف في تكفيره. فمن نظر إلى مثال قولهم قال بالكفر، فيلزم المعتزلة مثلا انتفاء وصف عالم لقولهم بانتفاء العلم، وهكذا يفعل مع سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم. ومن لم يواخدهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم، لم ير تكفيرهم، قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم، ونحن نمتنع من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر، بل نقول ان قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه. وأيضا من لم ير تكفيرهم يقول، ان الكفر خصلة واحدة، وهي الجهل بوجود الباري جل وعلا، ولأن الخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد. وقال صلى الله

(42) هو ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الشهير بالقاضي عياض (476 — 544 هـ). توفي بمراكش وترك كتبا كثيرة منها، الشفا وترتيب المدارك (ترجمته كثيرة انظر مثلا مقدمة كتاب ترتيب المدارك ... وكتاب شجرة النور ص 140 رقم 411 وغيرهما)

عليه وسلم «فاذا قالوها – يعني الشهادة – عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله(43) فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا يرتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه، والفاظ الاحاديث الواردة في هذا الباب معرضة للتأويل. وإلى القول بعدم التكفير ذهب أبو الحسن الاشعري(44) والقاضي أبو بكر الباقلاني(45) وابو المعالي(46) وبه قال سحنون(47) واكثر اصحاب مالك(48) كالمغيرة(49) وابن كنانة واشهب(50) تبعا لبعض السلف كعلي وابن عمر والحسن

---

(43) الحديث بنصه وتمامه هو «عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى» رواه البخاري ومسلم، واقتبسه الامام النووي في الاربعين والرياض.

(44) هو ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري البصري (260 – 324 هـ / 873 – 935 م) ولد بالبصرة وتوفي في بغداد كان معتزليا، ثم انقلب واعتمد الاتجاه السني، وقد الف اكثر من تسعين كتابا، بعضها في مرحلته الاعتزالية، والاغلبية الساحقة في مرحلته السنية وقد تراجع فيها حتى عن افكاره التي عرضها في الكتب الاولى. ويعتبر الاشعري من اكبر العلماء المفكرين الذين وضحوا المنهج السني – ترجمته مشهورة وانظر على سبيل المثال (هنري كوربان = تاريخ الفلسفة الاسلامية، ص، 180 وما بعدها)

(45) أبو بكر الباقلاني هو القاضي محمد بن الطيب البقلاني من كبار فقهاء اهل السنة وحجة في المذهب المالكي بالعراق .. خلف عدة كتب منها : كتاب الابانة، شرح اللمع، الامامة الكبيرة، الامامة الصغيرة، امالي اجماع اهل المدينة، المقدمات في اصول الديانات، التعريف والارشاد – في اصول الفقه –، الانتصار للقرآن – وهو في القرآن – المقنع – في أصول الفقه –. حقائق الكلام، ثم مناقب الائمة، توفي في ذي القعدة عام 403 هـ (شجرة النور ز 92 – 93 رقم 902). وكتب كثيرة اخرى

(46) هو ابو المعالي عبد المالك بن عبد الله الجويني المعروف بامام الحرمين تفقه على والده وصار امام نيسابور وامام المشرق كله في الفقه والاصول والكلام وجاور بمكة اربع سنين ومن هنا اخذ لقب امام الحرمين. ولما عاد إلى نيسابور بنى له نظام الملك المدرسة النظامية. من كتبه = النهاية في الفقه لم يصنف في المذهب مثلها كما يقول ابن السبكي، والبرهان في أصول الفقه، ومغيث الخلق في ترجيح مذهب الشافعي. توفي عام 478 هـ (الخضري تاريخ التشريع الاسلامي : 360)

47) هو عبد السلام بن سعيد التنوخي المشهور بسحنون (160 – 240 هـ) اصله من الشام ولكنه درس بالقيروان في تونس وفي مصر والمدينة المنورة وغيرها حتى اصبح من اكبر علماء المذهب المالكي، ثم تولى القضاء في تونس منذ عام 234 هـ حتى توفي بها، وهو حجة في المذهب المالكي (الخضري تاريخ التشريع الاسلامي، ص، 248) (وترتيب المدارك ج 2 / 585) وغيرها.

(48) الامام مالك (93 – 179 هـ).

(49) هو المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي الامام الفقيه احد من دارت عليه الفتوى بالمدينة المنورة بعد مالك، اشتهر بالثقة والامانة سمع عن ابيه وهشام بن عروة وابي الزناد، ومالك، وعنه اخذ جماعة كما قصده البخاري واخذ عنه، ولد سنة 134 وتوفي عام 188 هـ
(شجرة النور الزكية، 56، رقم 5).

(50) هو اشهب (140 – 204 هـ) بن عبد العزيز القيسي العامري الجعدي من مصر اخذ عن مالك والليث وغيرهما، وهو حجة في الفقه المالكي (انظر الخضري مثلا)

البصري(51) رضي الله عنهم. والى القول بالتكفير ذهب الإمام احمد(52) والشافعي(53) في رواية عنه وهي رواية الشاميين عن مالك تبعا لجمهور السلف كالليث(54) وابن عيينة وابن لهيعة وابن المبارك(54م) والأودي ووكيع وحفص بن غياث وابي اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم وكثير منهم رضي الله عنهم اجمعين. ولا خلاف بين الفريقين لانهم يستتابون، فان تابوا والا قتلوا، وانما الخلاف في قتلهم هل هو حد أو كفر، وينبني عليه ميراثهم والصلاة عليهم ودفنهم.

والثاني من النوعين الذين لا خلاف في تكفيرهم كالغرابية من الرافضة القائلين بأن المرسل هو علي واكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة، واكثر الخوارج القائلين بان الصلاة طر في النهار، والباطنية القائلين بان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم، والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم، وغلاة الرافضة القائلين بان الائمة افضل من الانبياء.

وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو نص حديث مجمع على حمله على ظاهره، كتكفير الخوارج بابطال الرجم، ولهذا يكفر من دان بغير ملة الاسلام من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهار ما اظهر من خلاف ذلك. وايضا يقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به إلى تظليل الامة أو تكفير جميع الصحابة، كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، اذ لم تقدم عليا، وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم. هؤلاء كفروا من وجوه : لانهم ابطلوا الشريعة باسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرءان اذ ناقلوه كفرة على زعمهم قبحهم الله. وكذلك من خالف الاجماع الذي يختص

---

(51) هو الحسن البصري (21 — 110 هـ) أبو سعيد بن ابي الحسن، من رواة الحديث الكبار، ومن الفقهاء وحكماء الاسلام، يعده البعض من اوائل المتصوفين في الاسلام. (انظر عنه الفكر السامي جـ 2 / 77 — 78 فتح الباقي على الفية العراقي، ج 1 / 276 — 277.

(52) هو الامام احمد بن حنبل (164— 241 هـ)

(53) هو الامام محمد بن ادريس الشافعي (150 — 204 هـ)

(54) الليث صديق الامام مالك ومعاصره توفي سنة 175 هـ (ترتيب المدارك ج 64/1).

(54م) ابن المبارك (118 — 181 هـ) عبد الله بن واضح المروزى، حجة في الفقه المالكي (الشجرة، 57 — 58. رقم — 20).

بنقله العلماء، وان ذهب البعض إلى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر، واما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقة النقل المتواتر عن الشرع، فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه، وحجتهم قوله تعالى «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى»(55) الاية، وبقوله صلى الله عليه وسلم «من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه(56)هـ – بتصرف –

– قلت ويخرج مذهب هذا المبتدع الوهابي على هذين النوعين، فاما قوله بتكفير جميع الامة سوى معتقدي مذهبه، فمن قبيل النوع الثاني، لانه أبطل الشريعة بأسرها، اذ ناقلوه كفرة بزعمه، وايضا منه انكاره للشفاعة(57) فانه دافع نص حديث مجمع على حمله على ظاهره، وكذلك قوله بالاستواء الذاتي، لانه ثبت بالكتاب والسنة والاجماع تنزيه الباري جل وعلا عن الجسمية، وكذلك نكيره لكرامات الاولياء، لانها ثابتة ايضا بالكتاب والسنة والاجماع. واما بقية معتقده فربما يلتمس له شبهة في ذلك فيخرج على الخلاف المتقدم.

– قوله «والله لو (علم امير المؤمنين ...الخ) وتمام عبارة الزياني «أم كيف يتقرب إلى من يخيف الحرمين الشريفين، ويمنع الحج أهل المشرقين والمغربين، ويمنع زيارة الانبياء والتوسل بهم إلى رب السموات، وينهى عن قراءاة تنبيه الانام ودلائل الخيرات، ويمنع الدعاء عند مقامات الاولياء أهل الكرامات، فلا يحل لمسلم ان يمتدحه ويصطفيه، بل يجب ان يقاطعه ويجفيه»(58)، انتهى كلام الزياني. وهو صادق في ذلك لان الملوك والامراء واجب عليهم اكرام من نصر الدين وتقريبه، وعداوة من جاء بضد ذلك أو اعان من جاء به وابعاده وتأديبه(59)، لا سيما اذا كان المعين على البدعة ممن يدعي العلم أو ينتسب إلى أهله، فانه أولى بالتأديب من غيره، لانه قد ارتكب الجهل

(55) الاية – 115 من سورة النساء

(56) انظر الشفا للقاضي عياض. ج 276/2. وقد نقل الفقرة الطويلة من الشفا ليجعلها الاطار الشرعي للحكم ضد الوهابي.

(57) لقد عرفنا وكما اورد المؤلف نفسه سابقا أنه لم ينكر الشفاعة كما هي بشروطها في القرآن بل انكر الوسطاء والاصنام.

(58) العبارة عن «تحفة النبهاء – المخطوط السابق الذكر. ص، 1217

(59) في الاصل «وبعده» ولا معنى لها.

المركب وغيره لم يخرج عن البسيط. ذكر في الشفا ان ملك الاندلس عبد الرحمن بن الحكم الأموي وبخ الفقهاء الذين افتوا بخلاف قول ابن حبيب في قتل ابن اخي عجب وسبهم وعزل القاضي بتهمته بالمداهنة في هذه القضية. فلا يشك احد في ان مولانا سليمان رحمه الله تعالى لو علم من السيد حمدون انه قال ذلك(60) بعد علمه واطلاعه على اعتقاد هذا المبتدع، لفعل به ما قاله الزياني، فانهم لا يقرون على مثل ذلك ولا يرضون به ولا سيما هؤلاء الملوك، فانهم مشهورون عند الخاص والعام بزيادة التحري في الدين واتباع جدهم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

نقد المؤلف لاكنسوس

قوله تمادى هذا الجهول الزياني إلى الخ، تأمل ايها الواقف على عبارة الزياني هنا وعلى عبارة صاحب الجيش في ترجمة المرحوم السلطان سيدي محمد ابن عبد الله عند ذكر المكس، يظهر لك من الجهول والمفحش والمنقص للعلماء. ونص صاحب الجيش هناك قال الزياني : «وفي هذا العام اي عام 1174 باع السلطان مكوس فاس فاشتراها الصفار باثني عشر الف مثقال في السنة وذلك انه لما بويع نصره الله وقدم لفاس دفع له اهل فاس ما كانوا يدفعونه لمولانا عبد الله من ثمن الموازين وهو ثلاث مائة مثقال في كل شهر، فلما حضر فقهاء الوقت سألهم عن حكم ذلك في الشرع ليعرف مستند ذلك، فقالوا له إذا لم يكن للسلطان مال، يجوز له ان يقبض من الرعايا ما يقوم به جنود الاسلام ومصالح الدين، فأمرهم ان يكتبوا ذلك، فكتبوا تأليفًا اعتمده السلطان، فوظف على الابواب والسلع والغلل. وممن كتب له في ذلك الفقيه السيد التاودي(61) والسيد محمد جسوس(62) والسيد عمر الفاسي(63) والشريف سيد

(60) كيف لايكون قد علم بذلك وهو الذي امره بالجواب كما عرفنا.

(61) هو العلامة الفقيه ابو عبد الله محمد التاودي بن سودة، ولد بفاس وتوفي بها سنة 1209. من العلماء الكبار بالمغرب استحق لقب قاضي الجماعة، تخرج على يده عدد كبير من الطلبة كما استفاد منه علماء بالمشرق خلال رحلته للحج – ترك مولفات كثيرة في الفقه والانساب والتراجم والحديث تزيد عن سبعة عشر كتابا – انظر : الحياة الادبية : 322 – 328. الشرب المحتضر : 3....الخ.

(62) هو ابو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن احمد جسوس (1098 – 1182 هـ) ولد بفاس وبها درس حتى تضلع في مختلف علوم عصره ثم انتصب للتدريس ولقي نجاحا هاما حيث خلف عددا من التلاميذ – كما ترك عدة مولفات في الفقه والتصوف منها (شرح خليل في تسعة اسفار وشرح حكم ابن عطاء الله وغيرها) – انظر : السلوة ج 1 / 330 .. الفكر السامي ج 4 / 124. ثمرة اسني ص : 73. شجرة النور الزكية : 355 رقم 1421.

(63) هو ابو حفص عمر الفاسي (1125 – 1188 هـ) من الاسرة الفاسية الشهيرة بالعلم والحسب بفاس وبقية المغرب. ترك عدة مولفات في الفقه والتصوف وغيرها – انظر شجرة النور الزكية : 357. رقم : 1424. الحياة الادبية : 306 – 311 السلوة ج 1 / 337 – 339

عبد الرحمان المنجرة(64) والسيد محمد بن عبد الصادق(65) والسيد أويس والقاضي السيد عبد القادر بوخريص(66)، وعلى فتوى هؤلاء اعتمد. قال الزياني واما اهل القوانين من الاتراك(67) والروم فانهم يسوون بين العدل النبوي والعدل السياسي ويقيمون العدل الاصطلاحي مقام العدل الشرعي الالهي، وعندهم العدل المرتب اي المنضبط احسن من المهمل، ولا شيء اصلح للسلطان من ترتيب الامور، ولا شيء افسد له من اهمالها، ودرهم يؤخذ من الرعية على وجه الاهمال وان كان عدلا افسد لقلوبها من عشرة دراهيم تؤخذ منها على وجه السياسة المرتبة، أي على زمن معلوم أو شيء معلوم مألوف وان كان جورا كالمكس المرتب، انتهى كلام الزياني(68). قال مقيده وهذا الكلام خارج عن الشريعة المحمدية، قال مولانا جل وعلا «ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون»(69) وقال سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : «من لم تصلحه الشريعة لا أصلحه الله». وأما قضية المكس وهي الملقبة بالمعونة، فان الكلام فيها معلوم قديما وحديثا، وقول ابن البراء لامير المومنين يوسف بن تاشفين معلوم مقرر، وفتاوي العلماء غير ابن البراء بخلاف قوله، وجرى عمل الدولة السابقة من المرابطين إلى الآن على فتاوي غير ابن البراء حتى في هذه الدولة الشريفة الحسنية ما عدا مولانا سليمان رحمه الله، قيل ان أهل فاس شرطوا عليه في بيعته ترك المكس،

(64) هو ابو زيد عبد الرحمن بن ادريس المنجرة ينتسب إلى اسرة ادريسية من تلمسان (1111 — 1179 هـ) ولد بفاس وبها نشأ ودرس. ترك عدة مولفات مختلفة كحواشي وشروح وغيرها.
انظر : الحياة الادبية : 286 — 287. وفهرس الفهارس ج 2 / 9 وشجرة النور : 354 رقم 1415

(65) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الصادق الدكالي الفقيه النوازلي كان مدرسا وقاضيا توفي عام 1175 هـ خلف بعض النوازل والفتاوي — كما ترك شرحا لمختصر خليل — انظر : شجرة النور : 354 رقم 1412. السلوة ج 1 / 273.

(66) هو ابو محمد عبد القادر بن العربي بوخريص (1118 — 1188 هـ) ولد بفاس وبها نشأ وتعلم واصبح قاضيا بها حيث اشتهر بالعدل والاستقامة. كما خلف عدة تلاميذ.
انظر : شجرة النور : 356 رقم 1423.

(67) هذه العبارة للزياني كما هو واضح نقلها عنه اكنسوس في هذا الاقتباس، ويظهر منها ان الاتراك كانوا قد اقتبسوا بعض القوانين الاوربية منذ عبد الحميد الاول (1773 — 1789م) وسليم الثالث (1789 — 1807) اللذين كان مشروع الاصلاح والتحديث قد بدأ الشروع فيه على عهديهما، غير انه لقي مقاومة شديدة ومعارضة من طرف الجيش أو من طرف بعض العلماء وأهل الحل والعقد والوزراء. كما تبين هذه العبارة ان الزياني كان مؤيدا لفكرة القوانين الوضعية ... بينما كان اكنسوس يرفضها ويرى ان الشريعة تتضمن ما يصلح للحياة كيفما تطورت، وهكذا يبدو ان اكنسوس كان أكثر سلفية من الزياني (انظر : الجيش العرمرم ج 1 / 141

(68) انظر نص هذه العبارة عند الزياني في كتابه : التاج والاكليل ... مخطوط خم 9 ص : 43.

(69) المائدة : 44.

وقيل انما ترك ذلك باختياره ورعا وتعففا والله اعلم»(70) انتهى كلام صاحب الجيش.

فانظر كيف حمل هذه الاية الواردة في الكفار على هؤلاء العلماء السبعة الكبار الذين أفتوا بأخذ المكس وجر الحمل ذيله على من أمرهم بذلك أو وافقهم عليه إلى يوم القيامة من ملك وغيره، مع انهم لم يفتوا بقول خارج عن الشريعة المحمدية، بل هو قول في المذهب كما أقر به هو في آخر عبارته. وأما قول الزياني أما أهل القوانين من الاتراك والروم إلى اخر عبارته، فانه تنظير وتقرير وتقوية لذلك المفتي به، فلو لم يكن صاحب الجيش من الفحش والجهل والتنقيص الا استشهاده في سياق هذه العبارة بهذه الآية لكان كافيا في ذلك. لأن استشهاده في معاني قياس(71) من الشكل الاول، وهو هؤلاء : العلمان ومن تبعهم لم يحكموا بما انزل الله وكل من لم يحكم بما انزل الله فهو كافر والنتيجة معلومة. وكم له من عبارة في كتابه المذكور من أشباه هذه العبارة. ولو استقصينا ذلك لطال بنا الحال وخرجنا عن المطلوب. ومن كلام عائشة رضي الله عنها «لا تسرف ولا تنفق»، ولله در القائل.

من ألزم الأعشى بنقد الدرهم   من يأمر العلجوم بالترنم

وفي المثل : محترس من مثله وهو حارس، لكن الانسان لا يرى عيب نفسه وان كان كبيرا ويبصر عيب اخيه وان كان صغيرا، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا «يبصر احدكم القذاة في أعين اخيه وينسى الجذع في عينيه»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه : «البلاء موكل بالمنطق». فلو ان رجلا عيَّر رجلا برضاع كلبة لرضعها، على ان الزياني لم يقل ذلك في سيد حمدون الا بالنظر إلى ما كان عليه اولا من استحسان مذهب هذا المبتدع ومدحه. واما بعد رجوعه وتوبته كما قدمناه فلا كلام.

قوله انما أجاب بأمر السلطان وعلى لسانه الخ، قد علمت في ما تقدم ان لو فرض انه أمر بذلك فقد ثبت الرجوع عنه بعد العلم بحقيقة مذهب المبتدع.

قوله وكان ذلك الجواب البديع الخ، فيه اقرار بما هو متواتر عن المبتدع المذكور من منعه الحج والزيارة، فما صرح به ايضا في آخر كلامه هنا بقوله : «ومن جملة ما

(70) الجيش العرمرم : ج 1 / 141 — 142

(71) في معنى قياس اي في معنى حكم باعتبار ان القياس – كما هو في علم الاصول – مصدر من مصادر التشريع ينبني عليه حكم، فيكون حكم عليهم بالقياس أنهم لم يحكموا بما انزل الله اذن فهم كفار، لأنهم حرفوا الحكم الشرعي، ولكن المشكل هو ان ما يأخذه الوترى على اكنسوس يسقط فيه هو.

حدث به الحجاج عن المولى ابراهيم انه لو لم يكن معهم في هذا الركب ما حجوا» إلى آخر عبارته، قوله حدثتنا جماعة وافرة ممن حج إلى آخره، أقول : حدث الشريف البركة الورع الثقة سيد محمد صروخ أن غالب هؤلاء المسميين حدثوه بخلاف ذلك وهو الظاهر(72) لانه قد تواتر وشهر لدى الخاص والعام لم يختلف في ذلك مختلف انه على خلاف ما حدث هؤلاء، فكيف تجتمع الامة على ضلال، وايضا المشاهدة اعدل شاهد على انه لو صح ما نقل هؤلاء يكون تقية من المبتدع الضال واستمالة لقلوبهم كما هو عادته، لاسيما وقد جاءوه بالكتاب الممدوح فيه، من السيد حمدون الذي كان سببا في زيارتهم وحجهم على الوجه المطلوب.

قوله وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام الخ. عاملك الله ورسوله بما تستحقه حيث وصفت البلدتين الطاهرتين بانهما مملوءتان من القاذورات والآثام، وجاء هذا المبتدع الخبيث ونقاهما من ذلك ببدعته، فهل يخرج هذا وأمثاله من قلب سليم.

قوله وهل منعناكم منها لما عرفناكم انكم تعرفون كيفيتها وآدابها الخ، يقال لمن نقل مثل هذه العبارة المستبرة وأقرها : ألم يكن بالمدينة المنورة حينئذ من يعرف آداب الزيارة وهي منبع العلم والفضل والشرف، ولقد اخبرني العالم العلامة والبحر الفهامة الشريف الجليل رئيس العلماء بمكة ومفتيها حالًا شيخنا واستاذنا سيد احمد زيني دحلان المكي، ناقلا عن شيخه علامة مصر والحجاز الشيخ عثمان الدمياطي رحمه الله، انه اتى لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقرب من وقت المبتدع الوهابي، فرأى جميع سواري المسجد الشريف النبوي مملوءة من العلماء والمدرسين، اكثرهم من أهل البلدة الطيبة، فهل لا كان احد منهم يحسن الزيارة.

قوله هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه الخ، لقد كذب الضال وانما ذلك مذهبه ويستتر بمذهب الامام احمد كما قدمنا، وهو نظير الحشوية القائلين بقدم الفاظ القرآن الصادرة من القاري حتى الكاغد والجلد، الزاعمين بأنهم حنبلية وليسوا كذلك، وقصدهم بذلك الرد على طائفة الاعتزال النافين صفة الكلام النفسي القائلين

(72) يبدو الوتري هنا متناقضا تماما فهو يقول : «حدثوه بخلاف ذلك ...» ثم يقول : «لو صح ما نقل هؤلاء يكون تقية من المبتدع ... واستمالة لقلوبهم ..» فيتأكد من هذا ان التحقيق الذي أجراه أكنسوس معهم هو الصحيح وهو القول المجمع عليه، وان الكلام الذي رواه الوتري عن صروخ مختلق ومحرف، والنتيجة معروفة ايضا.

بخلق القرآن، فبالغوا في ذلك حتى خرجو عن قول اهل السنة والجماعة.

قوله وغاية ما يقال في الوهابي المذكور الخ، أما ابن تيمية فان مخالفته للحنبلية في بعض المسائل كالاستغاثة مشهور عنه، ورد عليه ذلك وبين، لكن حاشاه أن يقول بمذهب هذا المبتدع، واما ابن حزم فانه من الظاهرية كما هو معلوم.

قوله وهكذا اهل كل مذهب لايقولون الخ، محل ذلك في الفروع كالاختلاف الواقع بين المذاهب الاربعة مثلا، واما في الأصول فقد قدمنا وقوع الاجماع المعتبر على ان الحق واحد فيها والخلاف الكائن بين اهل السنة والمبتدعة انما هو في الأصول، ولهذا وقع الخلاف في تكفيرهم.

واعلم ان مذهب اهل السنة منحصر في الأشعرية والماتريدية، فالأول مذهب أبي الحسن الاشعري رضي الله عنه، والثاني مذهب ابي منصور الماتريدي(73) وهما اماما اهل السنة والجماعة ليس بينهما خلاف الا في نحو العشرين مسألة نظمها القاضي تاج الدين السبكي(74) بعضها راجع الى اللفظي وليس هو مما يؤدي الى بدعة كما بين في موضعه.

قوله فهذا اكبر أتباع الامام احمد ابن حنبل رضي الله عنه وهو الشيخ الكامل الخ، اقول : قد تصفحت الكتاب المذكور وتصفحه غيري من الطلبة ايضا فما وجدنا ما ذكره هذا الرجل، فلو كان ما ذكره موجودا لنبه عليه العلماء فهم اللذين لايسكتون على باطل، والكتاب من نحو ثمانمائة عام بين ظهرانهم متداولا في ايديهم،

(73) هو ابو منصور الماتريدي (توفي بسمرقند سنة 333 هـ / 944 م) أدرك مثل الاشعري خطورة المشاكل المحدقة بالاسلام السني وما قد ينتج عن ذلك من انحراف المسلمين، فعمل جهده للدفاع عن المنهج السني في الاسلام مبينا بالحجج انحراف الفرق الأخرى وخصوصا المعتزلة وأمثالهم. وهذا هو المنهج الذي سار عليه تلامذته وهو ابراز المنهج السني والدفاع عنه ومهاجمة الفرق الأخرى، بحيث نظروا إلى مساعي الأشاعرة بأنها اصلاح جزئي، وأخذوا عليهم موقفهم المحافظ ومحاولتهم التوفيق بين مذاهب متناقضة (هذا حسب (كوريان) : تاريخ الفلسفة الاسلامية. ص 189) والحقيقة أن الاشعري والماتريدي سارا معا في خط واحد هو الخط السني وتكاملهما في تحديد منهج هذه المدرسة.

(74) ابن السبكي (728 — 771 هـ) هو تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، درس على والده الذي كان في قمة العلماء، وعلى اكبر علماء عصره ونبغ في مختلف العلوم وهو صغير، وولي قضاء دمشق بعد أبيه الى أن مات، وتعرض لمحن ومشاكل جره لها موقفه العلمي .. ترك عدة كتب في الاصول والفقه وشرح مختصر ابن الحاج وشرح مناهج البيضاوي. وله : الطبقات الكبرى والوسطى والصغرى، وعرفت منزلته عن طريق هذه الطبقات، ومؤلفات وشروح اخرى. انظر عنه الكتاني «فهرس الفهارس» ج 1038-1037/2 رقم 586).

فلم نسمع أن أحدا منهم نبه على ذلك، ولا ندري ما الحامل لهذا الرجل على نسبة هذا الكلام الى هذا القطب المتفق على جلالته واتباعه للشريعة المحمدية، وليس الا مجرد شقاء وعناد ومبارزة للباري عز وجل بسب أوليائه وأصفيائه اللذين اختارهم من خلقه. ومن أغرب ما يكون اني سمعت من بعض العلماء الاشراف انه لما سئل عن ذلك قال : اني وجدت هذا الكلام في نسخة بفاس من نحو اربعين عاما(75). فانظر ايها المنصف إلى هذا البغض المؤسس من نحو اربعين عاما في قلب هذا الرجل. فرضي الله عمن قال : اولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون. ويرحم الله الناظم حيث يقول :

ان شمست سوابق مضمرة فما غموص الحمر المستنفرة

ولا حول ولا قوة الا بالله استنبت الفصال حتى القرعى ونعود بالله من غضبه. وقد نص العلماء كما في مناقب الشافعي رضي الله عنه على أن من تنقص عالمًا من علماء الاسلام يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى، بل قال الجمهور بكفر من أبغض عالما فكيف برؤساء العلماء. سئل عز الدين بن عبد السلام عن قول الغزالي(76) رحمه الله «الصوفية افضل من العلماء الراسخين» فأجاب بانه «متفق عليه ولا يشك عاقل في ان العارفين بالله هم أفضل من العارفين بأحكام الله، بل العارفين بالله افضل من اهل الفروع والأصول». انتهى، على انه لو سلم ثبوت هذا الكلام ونبرأ إلى الله من ثبوته، يُخرج على أن الرافضة دسوه على الشيخ رضي الله عنه، ليسقطوا بزعمهم من علو مرتبته «يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون»(77). كما ان اليهود لعنهم الله دسوا على الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين ابن العربي في (فصوصه) (وفتوحاته) ما ليس من كلامه، كما هو مصرح بذلك في كتب الحنفية، وقد تصدى لبيان ذلك ورده العارف الرباني سيد عبد الوهاب الشعراني في كتابه (اليواقيت والجواهر) وغيره من تآليفه المخصوصة بذلك. وكذلك الولي الشهير سيد عبد الغني النابلسي بما لا مزيد عليه. وقد أجابوا

(75) يؤكد هذا ان اكنسوس لم يكن مفتريا، الا ان الوترى يحاول ان يقلب ذلك فيجعله بغضا، بينما لانجد في كلام اكنسوس اي دلالة على هذا البغض، بل ساق ذلك مع اظهاره التقدير والاحترام للشيخ عبد القادر.

(76) (450 — 505 هـ)

(77) التوبة — 32

بهذا وأمثاله وبالغوا الجهد في الذب عن الشيخ الأكبر الذي افترق العلماء فيه فرقتين(78)، فكيف بمن لم يختلف في ولايته وصلاحه واتباعه للشريعة المحمدية اثنان. أو يقال في الجواب : هذا الكلام محمول على ما ذكر في بعض حواشي التوحيد، في ان بعض الطوائف من المبتدعة سموا أنفسهم اشعرية، فيكون هذا الكلام ردا على تلك الطائفة، وهو الظاهر المناسب لذكره في طوائف المبتدعة. واذا تأملت في هذا الكلام وجدته غير متصور في الافهام، فكيف يتصور رد الشيخ قدس الله سره على الاشعرية أتباع الامام ابي الحسن الاشعري وهو منهم وعقيدته عقيدتهم، لانه قدس الله سره من المعلوم انه أفتى بمذهب الشافعي واحمد رضي الله عنهما وأصل مذهبه شافعي، وقد تقلد مذهب الامام احمد بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم حين ضعف مذهبه في البلاد، ولا خلاف في ان السادات المالكية والشافعية اشعرية والسادات الحنفية ما تريدية، وإنما الخلاف في الحنبلة قيل وقيل، والذي رجحه المحققون انهم أشعرية. هذا وقد اجتمعت الأمة على ان الحسيب النسيب القطب الرباني سلطان الأولياء والصالحين محيي السنة سيدنا وملانا عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز، كان جامعا بين الظاهر والباطن مدرسا ومؤلفا فيهما، وانه لم يتفق لأحد من بعد الصحابة إلى وقتنا هذا ما اتفق له من الكرامات والشهرة، اما كراماته نفعنا الله به، فقد عجز عن حصرها العد، ووقف عند ادناها الحد، وقد ألف فيها المجلدات الكثيرة، واما شهرته في جميع الاقطار من زمانه الى وقتنا هذا، فأمر مشاهد لاينكره الا من ينكر الشمس في ضاحية النهار لمانع من قبل نفسه.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

عافانا الله من داء الاعتراض، ونفعنا ببركات اوليائه واصفيائه، وأماتنا على محبتهم وحشرنا في زمرتهم آمين.

قوله على أن معتقد السنة هو معتقدهم، تُوهم هذه العبارة أن مذهب أهل السنة منحصر في الاشعرية وليس كذلك كما تقدم، فلا يقبل قوله : لا توكل ذبيحتهم الخ، لايخفى على من له ادنى المام بالفروع، أنه لم يذكر احد من المذاهب الاربعة مثل هذا في حق المبتدعة فضلا عن اهل السنة والجماعة، بل لم يقولوا في اليهود بحرمة أكل ذبيحتهم، فكيف يقال ان مثل هذا خلاف جائز لا بأس به ولا يفسق قائله، وكيف

(78) في الاصل فرقتان.

يظن بالشيخ قدس الله سره ان يصدر منه مثل هذا وأحدنا لا يرضى به اذا نسب اليه.

قوله ولا ينقص ذلك من قدره شعرة واحدة الخ، عاملك الله بما تستحقه، فما أكثر تهكمك وجرأتك على الله وعلى اوليائه واصفيائه.

قوله فاذا مدح شخص الخ، كفاك من العمى تشبيهك لرئيس الصالحين والعلماء المتفق على جلالته برئيس المبتدعة الضال الذي رجح كفره، فهل ثم شقاء وعناد أعظم من اخراجك له عن دائرة اهل السنة والجماعة ؟ ولا كفاك ذلك حتى ضممت اليه امام المذهب ايضا، وقلت : خال الاشعرية باعتقاده باجتهاد امامه، فنعوذ بالله تعالى من الشقاوة والحرمان.

قوله في كثير من المواضيع الخ، جميع ما ذكره الزياني من الفحش في كتبه كلها جمعت اضعافه، فأما قولك التي نجس بها هذه الدولة، فانك قد فعلت ذلك في أصل العين فلم تبق شيئا، ولكن كل اناء بالذي فيه ينضح، وهذه الدولة الشريفة طاهرة نقية ابدا لايضرها شيء من ذلك.

ماضر بحر الفرات يومـــا ان بال كل الكلاب فيه

ولله در ابي الطيب حيث يقول :

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

واما وقيع الزياني في سيد أحمد التيجاني رضي الله عنه وانكاره عليه، فقد جئت باضعافه في حق سلطان الاولياء جميعا، ومن العجيب انك تنكر على العالم الفهامة سيد عبد السلام جسوس (79) نكيره على الشيخ ابي القاسم الخصاصي(80)، وتذكر انه ما اصابه الذي اصابه الا بسبب محاربة الباري عز وجل بسب اوليائه، ثم تحارب المولى عز وجل باذاية رئيسهم المجمع على ولايته وفضله، وأعجب من ذلك انك ترد على

(79) عبد السلام جسوس قتل بفاس سنة 1121 هـ من طرف عبد الله الروسي عامل السلطان المولى اسماعيل على مدينة فاس، وكان مقتله بسبب موقفه الذي رفض فيه التوقيع على تملك السلطان لعناصر جيش عبيد البخارى باعتبارهم احرارا في نظر جسوس لايجوز استعبادهم. وينقل اكنسوس الخلاف الذي وقع حول مقتل جسوس هل كان بامر السلطان ام هو تصرف خاص من طرف العامل الروسي، انظر (الجيش العرمرم — ج 87/1 طبعة حجرية) والاستقصاج 90/7 وما بعدها).

(80) كان معاصرا لعبد السلام جسوس وكان بينهما خلاف — انظره عند اكنسوس (الجيش ج 87/1.)

الزياني نكيره على مولاي هشام وملاي الحسين(81) في طلبهما ملك ابيهما وتذكر مثل ذلك في حق مولاي المستضئ(82) وتصفه بالبخل والظلم والسفك وانه من الثوار وشر كله، وكذلك مولاي اليزيد(83)، بل قد ترقيت في الفحش الى تنقيص قطب المغرب وفاتحها مولانا ادريس قدس الله سره النفيس، فجعلت طلبه للملك نقيمة، اتراه كان طالبا لغير ملك آبائه واجداده، وايضا تعترض على مولانا عبد السلام(84) لاقتصاره في (درة السلوك) على ذكر محاسن الموتى والغض عن مساويهم حيث قلت «وقد اقتصر مولانا عبد السلام ابن محمد في تأليفه المسمى بدرة السلوك بعد ذكر مولانا اسماعيل، على ذكر مولانا عبد الله ولم يزد عليه ذكر احد من اخوانه، نعم ذكر نزرا يسيرا من خبر مولانا أحمد الذهبي وأخيه مولاي عبد المالك، وذلك ذكرٌ كلا ذكر، لأنه اجحف كل الاجحاف وأجمل كل الاجمال، فقال مشيرا الى ما ذكّرناه ما نصه : «وقد كان عمنا مولاي المستضيء نزل بأصلا وأراد ان يظهر بعض الاستبداد وسمت نفسه الى تملك بعض البلاد، فوجه اليه والدنا المنصور بالله صاحبه ابن عمه مولاي ادريس المنتصر في جملة الفرسان فطرده عنها وسار يريد فاسا ومنها توجه لسجلماسة، فبقي بها الى ان مات في اول خلافة والدنا رحمه الله، ولم يزل والدنا نصره الله يصلح ما وهي من أمر الخلافة والعساكير والقبائل والعشائر حتى رد الخلافة الى عصر شبابها، وقد كانت بيوت الاموال قبله قد ضعفت وجنود الحضرة قد اضمحلت وتلاشت لما توالى من الفتن بمقاسات حروب الثوار، فتدارك الله امر المسلمين بولاية مولانا والدنا امير المومنين، فكانت خلافته بمراكش ونواحيها سنة ثمان وخمسين ومائة والف، ومات والده رحمه الله سنة احدى وسبعين ومائة والف». انتهى كلام مولانا عبد السلام(85) فليس في كلامه شيء من الاجحاف، الا انه ترك ذكر مساوىء الأموات كما هي عادتك الذي ليس في ذكره كبير فائدة فيا أيها الفضولي المتجرىء، مالك وللدخول بين الأكابر والاشراف، ما لابن آوى ودخول الغاب، ولله در ابن دريد

(81) حول قضية مولاي هشام ومولاي الحسين يراجع اكنسوس (الجيش، ج 185/1).

(82) (الجيش ج 109/1.)

(83) الجيش ج 183/1.

(84) هو عبد السلام الضرير (ت — 1828 هـ / 1813م) ابن السلطان العلوي محمد بن عبد الله، ترك عدة كتب منها — درة السلوك وريحانة العلياء والملوك — مخطوط) تعرض فيه لتاريخ الدولة العلوية بإيجاز (انظر عنه — دليل «مؤرخ المغرب الاقصى ج 147/1 رقم 536.

(85) الجيش العرمرم، جـ 133/1.

حيث يقول :

من لم يقف عند انتهاء قدره   تقاصرت عنه فسيحات الخطا
من طال فوق منتهى بسطته   اعجزه قيل الدنا فله القصا
من رام ما يعجز عنه طوقه   ما عبء يوما آل مجزول المطا

والحاصل انك اطلقت لسانك في ساداتك مواليك من الملوك والاشراف والاولياء والعلماء، فلم تترك احدا من الاموات والاحياء الا لحقتهم بطرف لسانك.

ولقد وصفت العالم الفهامة المشهور القاضي مولاي عبد الهادي بالجهل وانه لايفرق بين اللجين واللجين، أتراه ان لم يكن من اهل الفصاحة والبلاغة ألم يكن يعلم ضروريات النحو والوزن التي يعلمها صغار الطلبة ؟ فان قدحك في مثل هذا الشريف الجليل القدر الذي ارتضاه الخاص والعام أمينا على الاحكام الشرعية قدح فيمن ارتضاه ووضعه على ذلك، فنعوذ بالله من الحسد والعناد ونسأله التوفيق والسداد.

قوله وفي عام ستة وعشرين ومائة والف وجه السلطان ولده الخليفة مولاي ابراهيم لاداء فريضة الحج الخ، لا يخفى ما بين هذه الحملة وقوله في السابق وفي سبعة وعشرين ومائتين والف ورد كتاب من تونس لفاس من المنافات، فانه ذكر في خلالها ان الذي ذهب بالجواب هو مولاي ابراهيم، فكيف يتصور ذلك، فلا بد من ابدال الاولى بستة وعشرين او الثانية بسبعة وعشرين ليحصل التوفيق، وان كانت العبارتان منقولتين من الزياني كان عليه ان ينبه على ذلك ويذكر انه خطأ من الناسخ لان مثل ذلك لايخفى على احد من الناس.

خاتمة

يجب على الانسان ان يشغل نفسه بما يهمه من امر دينه ودنياه وما ينفعه هذا عند مولاه، فانه لايسأل غدا الا عن عمله، ولهذا عد العملاء رحمهم الله حديث «من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه»(86) ركنا من اركان الدين الاربعة التي تنبني عليها الاحكام، ومن كلام بعض الصالحين «اذا سكن الخوف القلب لم ينطق اللسان الا

(86) حديث حسن رواه الترمذي وغيره ونقله الامام النووي في الرياض ص 29 رقم 67

بما يعنيه» وفي التمهيد بسنده ان بعض الامراء قال لمحمد بن واسع : ما تقول في القضاء والقدر ؟ فقال : أيها الامير، ان الله لايسأل عباده يوم القيامة عن قضائه وقدره وانما يسألهم عن أعمالهم. وسئل الامام أحمد رضي الله عنه عن ياجوج وماجوج أمسلمون ! فقال للسائل : «أحكمت العلم حتى تسأل عن ذلك» ! وقد ثبت في الصحيح على حسب ما ذكر الحاكم وخرجه ابو داوود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا ادري عنرير نبي الله ام لا، وما أدري ذو القرنين نبي ام لا»، كما يجب عليه ان لايقدم على أمر حتى يعلم ما حكم الله فيه، قال تعالى «ولا تقف ماليس لك به علم»(87) الآية وان من العلم ان يقول الرجل لما لايعلم : الله اعلم. فقد سئل الامام مالك رضي الله عنه عن ثمانية واربعين مسألة فأجاب عن ستة عشر منها، وقال الله اعلم في الباقي، فدل على ان هذه اللفظة قائمة مقام ثلثي العلم، وأن يلزم في امورها كلها الحالة الوسطى بين الافراط والتفريط، قال صلى الله عليه وسلم «خير الأمور أوسطها»، واذا بلغه عن اخيه المسلم ما ظاهره مخالف لظاهر الشرع الشريف يطلب له وجها حسنا فيحمله عليه، كيف وقد قيل اذا اتسعت دائرة العلم ضاقت دائرة الاعتراض. وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاتظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءً وانت تجد لها محملا في الخير، وقال الشاعر :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ‏ ‏ ‏ كما أن عين السخط تبدي المساويا

لاسيما ان كان القائل قد انتقل الى دار الثواب، قال صلى الله عليه وسلم ما معناه اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم، وفي مسلم : «من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت»، اي فليقل مايثاب عليه فيغنم او ليصمت على الشر فيسلم. قال العبد الفقير الى مولاه الغني، علي بن ظاهر الوتري الحسني المدني لطف الله به قد نجز بحمد الله تعالى ما ابرزته الاقدار في نصرة اهل الله ذوي المناقب والأسرار واني كنت الى الاصلاح أفقر من ليل مظلم الى مصباح، لاكني بحمد الله تعالى ومنته ابرأ اليه واستعيذ به من الدخول في دائرة الأولياء بغير أدب، فان ذلك مبدأ الشقاوة والتعب وغاية الحرمان والعطب، اللهم انفعنا بمحبتهم وأمتنا عليها واحشرنا في زمرتهم واجذبنا اليها، ونستغفرك اللهم من كل ذنب سولته لنا انفسنا وقدمته ايدينا،

(87) الاسراء : 36

(88) الحديث رواه البخاري ومسلم. ونقله النووي في الاربعين (ج 15)

ونسألك بحرمة حبيبك ومصطفاك وخليلك ومجتباك وآله وصحبه الهدات وحملة شريعته القادة الثقات ان توفقنا للعمل بما يرضيك عنا وترجعنا عاجلا سالمين الى وطننا(89) ياخير مأمول ويا أكرم مسؤول وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين.

(89) يؤكد هذا انه كتب هذه الرسالة بالمغرب، ولكنه لم يشر الى تاريخ كتابته لها وقد حاولنا تحديده في التعريف بهذه الرسالة.

مصادر ومراجع تقديم وتحقيق الرسالة

- محمد فؤاد عبد الباقي : 1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار احياء التراث العربي – بيروت د.ت.
- ابو القاسم الزياني : 2) تحفة النبهاء في التفرقة بين الفقهاء والسفهاء مخطوط خم رقم 2953 وخع رقم : 241 ك.
- » » : 3) التاج والاكليل في مآثر السلطان الجليل – مخطوط خم – 2953.
- الحوات : 4) ثمرة انسي في التعريف بنفسي – مخطوط – خع 1264 ك
- العربي المشرفي : 5) الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن اكنسوس – مخطوط خع رقم : 2276 ك.
- محمد الفلاق السوفياني : 6) تاج الملك المبتكر ومداده من خراج وعسكر – مخطوط خم 2502
- الغالي اللجائي : 7) مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان ايجاب الاستعداد وحرب النظام مخطوط – جم – 1030.
- السملالي علي السوسي : 8) عناية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة – مخطوط خع 480 د
- اكنسوس محمد : 9) الجيش العرمرم الخماسي.. (جزآن) طبعة فاس الحجرية
- ابو القاسم الزياني : 10) الترجمانة الكبرى (تحقيق عبد الكريم الفيلالي) مطبعة فضالة 1967
- الكردودي محمد : 11) كشف الغمة في ان حرب النظام حق على هذه الامة – طبعة حجرية بفاس
- جعفر الكتاني : 12) الشرب المحتضر والسر المنتظر من معين

بعض اهل القرن الثالث عشر – طبعة حجرية

13) سلوة الانفاس – الجزء الاول والثاني طبعة حجرية : – محمد جعفر الكتاني

14) فهرس الفهارس والاثبات... (جزان) الطبعة الثانية – دار الغرب الاسلامي بيروت 1982 : – عبد الحي الكتاني

15) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – طبعة جديدة دار الكتاب العربي – بيروت : – محمد بن محمد مخلوف

16) الحياة الادبية في المغرب على عهد الدولة العلوية – دار الرشاد بالدار البيضاء الطبعة الأولى 1977 : – د.محمد الخضر

17) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة – بيروت 1975 : – علي المحافظة

18) تاريخ شمال افريقيا (بالفرنسية..) باريس 1966 : – ش.أ.جوليان

19) تاريخ الشعوب الاسلامية – الطبعة الخامسة – بيروت 1968 : – كارل بروكلمان

20) مؤرخو الشرفاء – تعريب عبد القادر الخلادي الرباط 1977 : – ليفي بروفنصال

21) ذكريات مشاهير رجال المغرب (أبو القاسم الزياني) العدد الثاني، بيروت. د. ت. : – عبد الله كنون

22) النبوغ المغربي في الادب العربي الطبعة الثانية دار الكتاب اللبناني بيروت 1961

23) الاجتهاد والتجديد في التشريع الاسلامي الشركة التونسية للتوزيع تونس. د. ت : – مجموعة من الاساتذة التونسيين

24) الفكر السامي في تاريخ الفكر الاسلامي (4 ج) الرباط 1340 هـ : – الحجوي محمد

— هنري كوربان : 25) تاريخ الفلسفة الاسلامية ترجمة نصير مرة وحسن قبيسي بيروت 1966
— د. محمد حجي : 26) الزاوية الدلائية المطبعة الوطنية بالرباط 1964
— الشيخ محمد الخضري بك : 27) تاريخ التشريع الاسلامي المكتبة التجارية الكبرى بمصر الطبعة السابعة د. ت
— ابن حزم : 28) مراتب الاجماع منشورات دار الآفاق الجديد بيروت د. ت
— الناصري احمد بن خالد : 29) الاستقصا الجزآن 7 و 8 الدار البيضاء 1956.
— عبد السلام بن سودة : 30) دليل مؤرخ المغرب الأقصى دار الكتاب بالدار البيضاء الجزء الاول 1960.
— العباس بن ابراهيم المراكشي : 31) الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام نشر وتحقيق الاستاذ عبد الوهاب بن منصور — الجزء 7 المطبعة الملكية 1979
— الزركلي : 32) الاعلام. الجزء 4. د. ت. ولامكان الطبع.
— القاضي عياض : 33) ترتيب المدارك ..ح 1 — 2. طبعة بيروت (4 ج مع فهرس) مكتبة الحياة — بيروت — 1967.
— محمد بن الحسين العراقي : 34) فتح الباقي على الفية العراقي — تحقيق محمد بن الحسين العراقي المطبعة الجديدة بفاس 1954 ج 1.
— الامام النووي : 35) رياض الصالحين (في الاحاديث النبوية ..) تحقيق رضوان محمد رضوان — دار الارشاد. بيروت. 1971.
36) متن الاربعين.
37) صحيح مسلم وصحيح البخاري.